# التعليـــم التنصيــري

# أهـدافـه وأساليبـه

إعداد

د. السعيد شعبان الدسوقي إبراهيم

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة جامعة الأزهر

والأستاذ المشارك قسم الدعوة والثقافة الإسلامية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة القصيم

البريد الإلكتروني: AlsaeedShaaban.٢١١٣@azhar.edu.eg

**الملخص**:

يهدف البحث إلى إلقاء الضوء على وسيلة من أخطر وسائل التنصير المعاصر، وهي التنصير من خلال التعليم بمختلف مراحله، وهو ما عُرِف بالتعليم التنصيري، ذلك التعليم الذي يهدف إلى استخدام العلم وسيلة لأغراض التنصير، بحيث يوجِّه المنصرون مناهجه وخططه الدراسية، والكتب المصنَّفة له، والوسائل المستخدمة فيه، والعناصر التعليمية التي تمارسه وتشرف عليه، والغرض من الدراسة هو كشف حقيقة هذا النوع من التعليم وذلك ببيان أهدافه وتجلية أساليبه، وتتناول الدراسة مدلول التعليم التنصيري وخصائصه وتاريخه وأشهر مؤسساته، وكذلك تتناول أهداف التعليم التنصيري، ثم أذكر أساليب التعليم التنصيري وطرائقه التي يسعى من خلالها لتحقيق أهدافه، وقد خلص الباحث إلى أن التعليم التنصيري يهدف إلى الغزو الفكري لعقول الناشئة من أبناء الأمة، وإخراج المسلمين من دينهم والعمل على تنصيرهم، وإعداد قادة وكوادر وتمكينهم من مواقع المسؤولية والتأثير في أوطانهم، كما خلص إلى أن أساليب التعليم التنصيري تميزت بالمرونة والتكيف مع كافة الظروف والأحوال، فهم يحرصون على تدريس مناهجهم، فإن فرض عليهم التقيد بالمناهج الرسمية طوعوها لصالح مبادئهم التنصيرية، ويطمحون إلى تنصير رواد مؤسساتهم التعليمية، فإن عجزوا فلا أقل من تنشئتهم على الميوعة والانحلال الذي يقود في النهاية إلى الإلحاد، ويوصى الباحث بأن التعليم قوة توجيهية عظيمة وأمن قومي، فلا ينبغي أن يترك لأيدي أجنبية تستغله لمآرب وأغراض خبيثة، وعليه لا بد من إخضاع كافة مؤسسات التعليم في البلاد العربية والإسلامية للإشراف الكامل والرقابة الواعية من قبل الحكومات والوزارات المعنية، كما خلص البحث إلى أن التعليم التنصيري هو التعليم المنهجي الذي يتم من خلال مؤسسات التعليم المختلفة، كدور الحضانة، والمدارس بكافة أنواعها، والمعاهد العليا، والجامعات، وكذلك يمثل التعليم دعامة أساسية من دعائم العمل التنصيري، كما يتميز التعليم التنصيري عن غيره من وسائل التنصير بأنه وسيلة آمنة، حيث يلقن أبناء وبنات المسلمين مبادئ النصرانية دون جلبة أو ضجيج، وهو فرصة للتقارب مع المسلمين والتودد إليهم دون إثارتهم، ويوصي البحث بالاهتمام بالتعليم الحكومي والعمل على رفع مستواه بشتى الطرق، وأن يكون ذلك من أولى أولويات الحكومات العربية والإسلامية للنهوض، وكذلك أوصي بتفعيل دور الأزهر، وإعداد أبنائه وتزويدهم بالعلم، فهم الأقدر بما لديهم من العلم الشرعي على مواجهة التعليم التنصيري

وكشف زيفه، وأوصي أيضا بعدم إدخال أبناء المسلمين إلى المدارس الأجنبية في الداخل والخارج إلا بعد أن يتحصنوا فكريا وعقديا، ويتمكنوا من دينهم ولغتهم ووطنيتهم.

**الكلمات المفتاحية:** التعليم التنصيري، إرساليات التبشير، التعليم الأجنبي، التنصير الجماعي، الغزو الفكري، البيئة التعليمية.

**Missionary Education “Its Objectives and Methods”**

**Analytical Study**

**Al-Saeed Shaaban El-Desouki Ibrahim**
**Department of Islamic Call and Culture, College of Fundamentals of Religion and Da`wah, Mansoura, Al-Azhar University, Egypt**
**E-mail: AlsaeedShaaban.٢١١٣@azhar.edu.eg**

**Abstract:**

The research aims to shed light on one of the most dangerous means of contemporary Christianization, which is Christianization through education in its various stages, which is known as missionary education, that education that aims to use science as a means for the purposes of Christianization, so that the missionaries direct its curricula and study plans, books classified for it, and the means The purpose of the study is to reveal the reality of this type of education by clarifying its objectives and clarifying its methods. The study deals with the significance of Christian education, its characteristics, history and most famous institutions, as well as the goals of missionary education, then I mention the methods and methods of missionary education that seek through it to achieve its goals, The researcher concluded that the missionary education aims at the intellectual invasion of the minds of the emerging sons of the nation, and to expel Muslims from their religion and work to Christianize them, and to prepare leaders and cadres and enable them to assume positions of responsibility and influence in their countries. They are keen to teach their curricula, so if they are required to adhere to the official curricula, they adapt it in the interest of their missionary principles, and they aspire to evangelize the pioneers of their educational institutions. , It should not be left to foreign

hands that exploit it for malicious aims and purposes, and therefore all educational institutions in the Arab and Islamic countries must be subjected to full supervision and conscious control by the concerned governments and ministries, and the research concluded that Christianizing education is the systematic education that takes place through the various educational institutions. , such as nurseries, schools of all kinds, higher institutes, and universities, as well as education represents a mainstay of the missionary work, and Christian education is distinguished from other means of Christianization as a safe method, where the sons and daughters of Muslims are taught the principles of Christianity without fuss or noise, and it is an opportunity To rapprochement with the Muslims and to woo them without provoking them, The research recommends paying attention to government education and working to raise its level in various ways, and that this be one of the first priorities of Arab and Islamic governments for advancement, and I also recommend activating the role of Al-Azhar, preparing its children and providing them with knowledge, as they are the most capable with their legitimate knowledge to confront Christian education and expose its falsehood, and I also recommend Not to allow Muslim children to attend foreign schools at home and abroad until they have fortified themselves intellectually and ideologically, and have mastered their religion, language and patriotism.

**Key words:**

Missionary Education, Missions, Foreign Education, Mass Evangelization, Intellectual Conquest, Educational Environment.

## مقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأصلي وأسلم على البشير النذير والسراج المنير، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،،،

فالتنصير حركة قديمة متجددة، تلبس لكل عصر لبوسه، وتطوّع نفسها لمقتضيات الواقع وأحواله، فكما كانت الحملات الصليبية بمثابة الهزة العنيفة التي أيقظت المسلمين من سباتهم، فقد كان فشل هذه الحملات هو نقطة التحول في الصراع من الحرب العسكرية إلى الغزو الفكري والأخلاقي والثقافي والسياسي والاقتصادي، وبرزت حركة التنصير لتكون بمثابة الرائد الذي تولى كِبْر هذا الغزو الشامل.

وراح التنصير يطور وسائله وينوع أساليبه لتناسب المرحلة الجديدة، واجتمع قادة التنصير في مؤتمر كولورادو سنة ١٩٧٨م ليعلنوها ثورة على الوسائل القديمة والأساليب التقليدية، فذكروا أن ((الغرض من عقد هذا المؤتمر هو الإيمان بعدم جدوى وفعالية الطريقة التقليدية لتنصير المسلمين))[١]، ولبس المنصرون أقنعةً شتى للوصول إلى المسلمين والعمل على تنصيرهم مع البقاء في المنطقة الآمنة التي لا تثير غضبة المسلمين، ومنها: قناع الطب والعلاج، وقناع العلم، وقناع المساعدات الإنسانية.. غير أن أخطر هذه الأقنعة على الإطلاق هو قناع التعليم، فالتنصير من خلال الرعاية الصحية والمساعدات الإنسانية إنما يتم في أضيق الحدود؛ بخلاف "التعليم التنصيري"، فهو يستهدف أبناء وبنات المسلمين، ويستضيفهم في مؤسساته التعليمية لسنوات طويلة، يظل خلالها يتعهدهم بالتربية التنصيرية، ولذا فقد رأيتُ – مستعينًا بالله – أن أكتب في هذا الموضوع لأسباب عدة منها:

١- تستُّر التنصير خلف مسميات عديدة وحيل شتى قد تخفى على البعض، الأمر الذي يستلزم كشفها؛ حتى يكون المسلمون على دراية تامة ووعي كامل بالأساليب التي تنتهجها الحركات التنصيرية في حرب الإسلام والصدّ عنه في مجال يعد من أخطر المجالات وهو "التعليم".

٢- عدم وجود دراسات عميقة وكافية تؤصل لأهداف وأساليب "التعليم التنصيري"، وتلقي الضوء على أخطاره وآثاره.

**مشكلة الدراسة:** تبرز مشكلة الدراسة من خلال الأسئلة التالية:

١- ما مدى خطورة التعليم كوسيلة من وسائل التنصير؟ وهل "التعليم التنصيري" ما زال قائمًا، أم أنه قد اختفى، أو لم يعد مصدر خطر كما كان من قبل؟

---

(١)التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي (ترجمة كاملة لأعمال مؤتمر "كولورادو" التنصيري الذي عقد في أمريكا سنة ١٩٧٨م)، ص ٢٠٩، دار MARC للنشر، كاليفورنيا، أمريكا، سنة ١٩٧٩م.

٢- ما الأهداف التي تسعى الإرساليات التنصيرية لتحقيقها من خلال التعليم؟

٣- ما الأساليب التي سلكها المنصرون لتحقيق أهدافهم في مجال "التعليم التنصيري"؟

**الدراسات السابقة:** لم أعثر على دراسات سابقة في موضوع البحث سوى دراستين هما:

**١- أساليب ووسائل التنصير في المؤسسات التعليمية الجزائرية "مقاربة سوسيو – تاريخية":** د. جمال حواوسة، بحث (منشور) بمجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، العدد (٤١)، سنة ٢٠١٨م.

**٢- التعليم التبشيري في الجزائر "من ١٨٣٠ – ١٩٠٤م" – دراسة تاريخية تحليلية:** وعْلي محمد الطاهر، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الجزائر، سنة ١٩٨٩م.

وهما دراستان تاريخيتان، فقد اقتصرتا على رصد جهود التنصير في مجال التعليم في دولة الجزائر تحديدًا وفي فترة زمنية معينة، وما عداهما فهي دراسات في موضوع التنصير بشكل عام.

**منهج البحث:** اعتمد البحث على المنهج التحليلي بمكوناته الثلاثة وهي: (التفسير، والنقد، والاستنباط)[١]، فهو يجمع أقوال المنصرين الواردة في أدبياتهم ومؤتمراتهم، ويلقي الضوء على ممارساتهم بأسلوب علمي يقوم على التحليل والنقد؛ لاستنباط واستخلاص معالم المخطط التنصيري في مجال التعليم، والمتمثل في الأهداف والأساليب.

**خطة البحث:** اشتمل البحث على: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، على النحو التالي:

- **المقدمة:** وقد تضمنت أهمية الموضوع، والدراسات السابقة، ومشكلة البحث، ومنهجه، وخطته.
- **المبحث الأول: مدخل إلى التعليم التنصيري.**
- **المبحث الثاني: أهداف التعليم التنصيري.**
- **المبحث الثالث: أساليب التعليم التنصيري.**
- **الخاتمة:** وتشتمل على أبرز النتائج وأهم التوصيات.

وأسأل الله أن ينفع بهذا العمل، وأن يكون خطوة على طريق الدفاع عن الإسلام وكشف مخططات أعدائه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

(١) راجع بالتفصيل: أبجديات البحث في العلوم الشرعية: د. فريد الأنصاري، ص ٩٦ وما بعدها، منشورات الفرقان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

# المبحث الأول

# مدخل إلى التعليم التنصيري

كانت وسائل التنصير وأساليبه في أول أمرها بدائية لا تخلو من ضعفٍ وعجزٍ وقصور، وهو ما ثار عليه المنصرون في مؤتمر "كولورادو" وغيره، داعين إلى وسائل وأساليب جديدة تتفق وروح العصر، ولا يزال القوم مستمرون في تطوير خططهم وتحديث وسائلهم، وصدق الله القائل: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَاعُوا۟﴾ [البقرة:٢١٧]، وكان من أخطر وسائل التنصير المعاصر: ما عُرِف بـ "التعليم التنصيري"، وسوف أمهد للحديث عن أهدافه وأساليبه بـ "مدخل" يتضمن المطالب الآتية:

## المطلب الأول: مدلول التعليم التنصيري:

بدايةً ينبغي التعرف على مصطلح "التعليم التنصيري" على النحو التالي:

**أولا: التنصير أو "التبشير":** التنصير في اللغة: فعلُه "نصَّر"، والتنصُّر: الدخول في النصرانية. يقال: نصَّره تنصيرًا: جعله نصرانيًّا، وفي الحديث: **(كل مولودٍ يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانِه أو يُنصِّرانِه..)**[(١)]، والنصرانيَّة: دين أتباع المسيح ﷺ[(٢)]، ومما سبق يتبين أن "التنصير" في مفهومه اللفظي ومدلوله اللغوي يعني الدعوة إلى اعتناق النصرانية، أو إدخال غير النصارى في النصرانية.

والتنصير في الاصطلاح: «هو حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إِثْر فشل الحروب الصليبية؛ بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة، وبين المسلمين بخاصة، بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب»[(٣)]، والتبشير: تعبير أطلقه رجال الكنيسة على

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ح رقم (١٣١٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) لسان العرب لابن منظور ٤٤٤١/٦، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ. تحقيق: عبد الله على الكبير، وآخران، والمعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بمصر، ص ٩٢٥، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الرابعة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي ٦٦٥/٢، دار الندوة العالمية، الرياض، الخامسة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. إشراف: د. مانع بن حماد الجهني.

الأعمال التي يقومون بها لتنصير الشعوب، ثم تحول هدف التبشير داخل الشعوب المسلمة إلى إخراج المسلمين عن دينهم، ولو إلى الإلحاد والكفر بكل دين(١).

والمتأمل فيما سبق يلاحظ: الاختلاف بين الدلالة اللغوية لكلمة "التبشير" وما تطورت إليه في الواقع المعاصر، فأصل التبشير في اللغة: الإخبار بما هو خير، والبشارة: الخبر السار، ولكن واقع حال المبشرين وأهدافهم جعلت "التبشير" يحمل معنى آخر غير معناه اللغوي الأصلي، وبالتالي فإن كلمة "التبشير" ونحوها تُطلق ويراد بها ((معانٍ ودلالات جرى العُرْف بها في الغرب والشرق، وغَدَت مصطلحات يراد منها ما شاع في العُرف، فنحن نطلقها وفق ما جرى عليه الاصطلاح، ولو كانت دلالاتها اللغوية الأصلية تخالف ما تطورت إليه في الاصطلاح أو في واقع ما تُطلق عليه، أو مَن تطلق عليه))(٢).

والأدق في التعبير عن الدعوة إلى النصرانية هو مصطلح "التنصير"، فهو مشتق من كلمة "نصارى" التي استخدمها القرآن الكريم في مواطن كثيرة، ((وإطلاق لفظ "التبشير" على ما يقوم به المبشرون في خدمة المسيحية ودولها هو من واقع نظرتهم هم، ونحن استعملناه أيضًا في عملهم مجاراة لهم، حتى يكون كلامنا وكلامهم منصبًّا على حقيقة واحدة وعمل واحد، وإلا فعملهم هذا هو شرٌّ بالنسبة لنا في حقيقته وليس فيه أدنى بشارة، لكن هكذا صار الاستعمال لكلمتي التبشير والمبشرين))(٣)،

**ثانيًا: التعليم:** التعليم في اللغة: مأخوذ من العلم، وهو نقيض الجهل، وفعله "عَلِمَ"، ويطلق العلم في اللغة على: المعرفة، واليقين، وإدراك الشيء بحقيقته. يقال: تعلَّمَ الأمرَ: أتقنه وعرفه، وعلَّمَ فلانًا الشيءَ تعليمًا: جعله يتعلمه، وتعلمتُ الشيءَ: إذا أخذتُ علمَه، والمعلِّم: من يتخذ مهنة التعليم(٤).

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها "التبشير – الاستشراق – الاستعمار": د. عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص ٥٣، دار القلم، دمشق، الثامنة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٢، ٥٣.

(٣) أضواء على التبشير والمبشرين: د. سلمان سلامة عبد المالك، ص ٢٠، مطبعة الأمانة، القاهرة، الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

(٤)لسان العرب ٥/٣٠٨٣، والمعجم الوسيط، ص ٦٢٤.

وفي الاصطلاح: عبارة عن معلومات ومعارف وخبرات ومهارات يتم اكتسابها من قِبَل المتلقِّي بطرق معينة(١).

**والتعليم المقصود في هذه الدراسة:** هو التعليم المنهجي، ابتداءً من مرحلة رياض الأطفال، مرورًا بالتعليم الابتدائي والإعدادي (المتوسط) والثانوي، وصولًا إلى مرحلة التعليم الجامعي، وذلك من خلال مؤسسات التعليم المختلفة، كدور الحضانة، والمدارس بكافة أنواعها، والمعاهد العليا، والجامعات، ويشمل أيضا: فصول محو الأمية وتعليم الكبار، وأما "التثقيف العام" الذي يتم من خلال الندوات والمحاضرات العامة، والإذاعات والصحف والمجلات ونحو ذلك، فهو لا يدخل ضمن هذه الدراسة.

**ثالثًا: التعليم التنصيري:** وبعد الوقوف على مدلول كلمتي "التنصير" و"التعليم"، يمكن القول بأن "التعليم التنصيري" هو: التعليم الذي يهدف إلى استخدام العلم وسيلة لأغراض التنصير من جهة، ولأغراض الدول الاستعمارية من جهةٍ أخرى، بحيث يوجِّه المنصرون مناهجه وخططه الدراسية، والكتب المصنَّفة له، والوسائل المستخدمة فيه، والعناصر التعليمية التي تمارسه وتشرف عليه(٢).

وعرفه آخرون بأنه: «التعليم الذي لا يرتبط بالسياسة التعليمية، ولا يتقيد بمناهج التعليم في القطر الذي يوجد فيه، وإنما يسير وفق سياسة تعليمية ومناهج مختلفة، ويكون تابعًا لجهة أجنبية»(٣)، ولذا أطلقوا عليه "التعليم الأجنبي"، وسواء أطلق عليه "التعليم التنصيري" أو "التعليم الأجنبي" فلا اختلاف، فهو "تعليم تنصيري" باعتبار غايته والباعث عليه، و"تعليم أجنبي" باعتبار الجهة التي تؤسسه وتديره.

---

(١) مفهوم التدريس: د. حمزة هاشم السلطاني (بتصرف)، محاضرة منشورة على الموقع الرسمي لجامعة بابل، كلية التربية للعلوم الإنسانية. رابط النشر:

http://www.uobabylon.edu.iq/uobColeges/lecture.aspx?fid=١٠&depid=٣&lcid=٤٢٣١ تاريخ النشر: ٢٠١١/٤/١٧م.

(٢) مستفاد من: أجنحة المكر للميداني، ص ٧٧ بتصرف.

(٣) الغزو الفكري "التحدي والمواجهة": د. إسماعيل علي محمد، ص ١٣١، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، الثانية ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

## المطلب الثاني: التعليم وسيلة للتنصير:

سبق القول بأن حركة التنصير قد نشطت في الحقبة الأخيرة؛ بهدف نشر النصرانية بين الأمم المختلفة، لا سيما دول العالم الثالث التي تعاني الفقر والجهل والمرض، تلك الثلاثية التي تعدّ بيئة خصبة للمنصرين كي يبثوا سمومهم؛ مستغلين في ذلك حاجة الناس إلى لقمة تسد جوعتهم، ومدرسة يعلمون فيها أولادهم، ومستشفى يعالجون فيها أمراضهم، الأمر الذي يبرهن على أن المدارس والمستشفيات وسائر مؤسسات الإحسان التي ينشئها الغرب ويموِّلها في دول العالم الثالث، إنما هي مؤسسات تنصيرية بالأساس، وهكذا ركزت الهيئات التنصيرية على "الإحسان" بصفة عامة، وعلى "التعليم والتطبيب" بصفة خاصة، فقالوا: ((كان التطبيب والتعليم من وسائل التبشير، ويجب أن يبقَيَا كذلك))(١).

ومما سبق يتبين أن التعليم يمثل دعامة أساسية من دعائم العمل التنصيري، وفي سبيل ذلك يعمل المنصرون على استغلال الجهل بين الشعوب والأمم لينفذوا إلى غاياتهم، فالجهل هو الفراغ الذي يمتدّ فيه التعليم التنصيري، وهو الثغرة التي ينفذ منها المنصرون لتشكيل وعي الشعوب وفقًا لما يريدون، ولذا يعدّ التعليم من أهم الأمور وأخطرها، فهو أداة بناء أو معول هدم، وهو يعكس حال الأمم قوةً وضعفًا، ارتفاعًا وانحدارًا، تقدمًا وتراجعًا، رقيًّا وتخلفًا، وبرهان ذلك تأمُّل دراسة حالة الدول التي نهضت في العصر الحديث، فالتعليم هو سر نهضتها وباعث قوتها(٢)، وكذا الدول التي تراجعت وتخلفت بسبب تردّي حالة التعليم، أو سيطرة قوة أجنبية عليه، ولا يختلف اثنان على تأثر الإنسان – إيجابًا أو سلبًا – بالتعليم الذي يتلقاه، وهو ما عبر عنه فيلسوف الإسلام وشاعره في الهند محمد إقبال، بعد أن اكتوى بنار نظام التعليم الغربي شخصيًّا، فأبدى حقيقته في أسلوب أكثر عمقًا، فقال: ((إياك أن تكون آمنًا من العلم الذي تدرسه، فإنه يستطيع أن يقتل روح أمةٍ بأسرها))، وعبر عن ذلك التحويل الجذري الذي يحدثه التعليم بقوله: ((إن التعليم هو "الحامض" الذي يذيب شخصية الكائن

---

(١) التبشير والاستعمار في البلاد العربية: د. مصطفى خالدي، ود. عمر فروخ، ص ١٩٤، المكتبة العصرية، بيروت، الخامسة ١٩٧٣م.

(٢) راجع بتوسع: "نظرة إلى أفضل خمسة أنظمة تعليم في العالم" للباحث/ أحمد الجعفري، موقع مركز البيان للدراسات والتخطيط، رابط النشر: https://www.bayancenter.org/٢٠١٧/١٠/٣٧٢٩ تاريخ النشر: ٢٠١٧/١٠/٨م، وهو بحث قيم عرض فيه الباحث قصة نهوض خمسة دول هي: (كوريا الجنوبية، واليابان، وسنغافورة، وهونغ كونغ، وفنلندا)، وقال: ((بعد الاطلاع على تجارب الدول الخمس الأُول في التعليم، نجد أنها عانت كثيرا من المشكلات الاقتصادية والسياسية والمجتمعية، ولكنها عادت ونهضت من خلال بناء أنظمة تعليم قوية ساهمت في نمو تلك الدول اقتصاديًّا ومجتمعيًّا، مما جعلها في مصاف الدول المتقدمة)).

الحي، ثم يكوِّنها كما يشاء، إن هذا "الحامض" هو أشد قوة وتأثيرًا من أي مادة كيميائية، هو الذي يستطيع أن يحوِّل جبلًا شامخًا إلى كوم تراب))(١).

لقد فطن المنصرون إلى مكانة التعليم وخطورته، فوجهوا إليه اهتمامهم، وبذلوا في سبيله كل غالٍ ونفيس، واعتبروه من أهم وسائل التنصير المعاصر، وذلك لاعتبارات كثيرة من أهمها:

١- يحظى التعليم باهتمام الإرساليات التنصيرية لاعتبار يتصل بالخُلُق المسيحي؛ لاعتقاد المسيحيين أن المسيح كان معلِّمًا، وكان يدعو أتباعه دومًا لنشر تعليمه بين الناس.

٢- أن التعليم في ظاهره – على الأقل – "عملية حضارية" لتثقيف العقول، ونَشْل النفوس من ظلمات الجهل والتخلف، وهو حكم لا يختلف عليه الناس، ولا تختلف فيه الأديان، ومن ثم لا يكون هدفًا للنقد أو المنع أو التعويق.

٣- أن الناس بطبيعتهم يحبون التعليم ويكرهون الأمية، وأن المتعلم يمكنه أن يقرأ ما يراد له أن يقرأه بخلاف الأمي، ولذلك يرى المنصرون في خططهم أن تعليم الشعوب القراءة والكتابة يساعد المنصر على التغلب على المشكلات الرئيسية التي عادةً ما كانت تواجهه كالتعصب، الذي هو سمة للأميين.

٤- أن التعليم – بسبب المساحة الزمنية التي يستغرقها وهي تمتد إلى ثلاث أو أربع سنوات في كل مرحلة – يمثل مجالًا خصيبًا جدًّا للتقبُّل والتشبُّع والتطبيع العقدي، فداخل أسوار المدرسة أو الجامعة يمكن أن يقال "كل شيء"، ويمكن أن يُلقَّن "أي شيء"، اعتمادًا على برنامج مدروس، وموضوع مخطط بعناية فائقة حتى يؤتي ثماره المرجوة، ونتائجه المنشودة، وهو ما عبر عنه المبشر الأمريكي "ماكدونالد" بقوله: ((ليس هناك ثمّة وسيلة للتأثير على المواطنين أفضل من جمع أبنائهم في حجرات الدراسة))(٢).

---

(١)الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية: أبو الحسن الندوي، ص ١٧٨، دار القلم، الكويت، الرابعة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٢) راجع: آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم: د. جابر قميحة، ص ٤٣، ٤٤، سلسلة دعوة الحق، تصدرها رابطة العالم الإسلامية، مكة المكرمة، السنة العاشرة، العدد ١١٦، العام ١٤١٢هـ/١٩٩١م، والتبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل: د. إبراهيم عكاشة علي، ص ١٧١ بتصرف، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض ١٩٨٢م، والتنصير في الخليج العربي: د. عبدالعزيز بن إبراهيم العسكر، ص ٤٤، الدار العربية للموسوعات، بيروت، الثالثة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.

لقد أجمع المنصرون بكل أطيافهم على أن التعليم ما هو إلا وسيلة يجب أن تستغل في سبيل التنصير، وبالتالي فقد أوْلى المنصرون "التعليم" أهمية كبرى، لكن على أن يكون وسيلة فقط لا غاية في ذاته، وهو ما صرح به أقطاب التعليم التنصيري. يقول المستر بنروز "رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت من سنة ١٩٤٨ – ١٩٥٤م": ((لقد برهن التعليم على أنه أثمن الوسائل التي استطاع المبشرون أن يلجؤوا إليها في سعيهم لتنصير سوريا ولبنان))(١)، وهكذا اعتبر المنصرون التعليم هو أقوى وأثمن وسائل التنصير؛ لما له من أثر فعال في طبع الأفكار التنصيرية وترسيخها في نفوس الطلاب.

إن أخطر ما في "التعليم التنصيري": ((هو السبل اللاأخلاقية التي اعتمدها المنصرون في ميدان هو بطبيعته مستلزم لأرقى وأدق معايير الأخلاق))(٢)، فانحرفوا بالعلم عن طريق الاستقامة، ودنسوا قدسيته وأفسدوا رسالته، وهو ما لا يخفيه المنصر "جسب"، فيصرح بأن ((التعليم في مدارس الإرساليات المسيحية إنما هو واسطة إلى غاية فقط، هذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح، وتعليمهم حتى يصبحوا أفرادًا مسيحيين وشعوبًا مسيحية))، ويَعتبر "جسب" أن أي خروج عن هذا الهدف إلى أهداف علمية ونحوها، إنما هو خروج عن رسالة هذه المؤسسات التنصيرية، يقول: ((ولكن حينما يخطو التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية في نفسه، وليُخرج لنا خيرة علماء الفلك وطبقات الأرض وعلماء النبات وخيرة الجراحين والأطباء، فإننا لا نتردد حينئذ في أن نقول: إن رسالة مثل هذه قد خرجت عن المدى التبشيري المسيحي إلى مدى علماني محض، مثل هذا العمل يمكن أن تقوم به جامعات "هايدلبرغ" و"كمبردج" و"هارفارد"، لا الجمعيات التبشيرية التي تسعى إلى أهداف روحية فحسب))(٣).

بل إن نجاح مؤسسات التعليم التنصيري إنما يقاس بمدى ما تنجزه في مجال التنصير، وهو ما نصَّت عليه مذكرة لسكرتير إرسالية تنصيرية في جنوب السودان عقب إنشاء مدرسة هناك عام ١٩١٧م، يقول فيها: ((وبما أن المدرسة أنشئت أساسًا لتكون وسيلة لنشر رسالة المسيح، فإن نجاحها ينبغي أن يقاس بالمدى الذي تبرهن فيه استطاعتها في إنجاز ذلك أكثر من مقياس ارتفاع مستوى

(١) التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ٤٦.

(٢) استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي: د. محمد عمارة، ص ٤٤، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، الأولى ١٩٩٢م.

(٣) المرجع السابق، ص ٦٦، ٦٧.

عملها في مجال التعليم))(١)، وهكذا أقبل المنصرون على ميدان "التعليم" لا من أجل العملية التربوية التعليمية، وإنما لإفساد عقائد الطلاب، والمتأمل في "التعليم التنصيري" يتأكد لديه ((حرص المبشرين على إفساد النبل الإنساني، وجعل العلم – الذي هو نعمة في سبيل تحرير الإنسانية ورقيها – وسيلة إلى استعباد الأفراد والأمم))(٢)، وهو تعامل غير أخلاقي؛ لأن الهدف من العلم أن يطلب لذاته، لا أن يتخذ قنطرة لتحقيق أهداف تتعارض مع هوية المتعلمين الدينية، كالنيل من عقائدهم والعمل على تنصيرهم بطرق ملتوية.

## المطلب الثالث: خصائص التعليم التنصيري:

اتخذ المنصرون "التعليم" كوسيلة لإضلال الناس، وأظهرت كافة بعثاتهم الحفاوة بالتعليم التنصيري، فهم ((يرون أن التعليم أهم داعية إلى المسيحية))(٣)، وجاءت قرارات المؤتمرات التنصيرية بحض جمعيات التنصير على توسيع نطاق التعليم الذي يشرف المنصرون عليه. ويرجع اهتمام القوم بالتعليم التنصيري لكونه يتمتع بمجموعة من الخصائص تميزه عن غيره من وسائل التنصير، وهي على النحو التالي:

١– **التعليم التنصيري وسيلة آمنة وتتم في هدوء:** فهو يُطل متخفيًا وراء لافتة تحمل اسم مدرسة أو جامعة ونحوها، ولذا يطلق البعض عليه "**التنصير التخطيطي الهادئ**"، فهو يهدف إلى ((استدراج الضحية بكل الوسائل والطرق التي لا تثير حفيظة الغير، ولا تجلب عليهم ضجة، ويُعدّ هذا النوع هو السمة الغالبة للتنصير في وقتنا الحاضر، إنه التنصير ذو اليد الملساء، وهو أشبه ما يكون بالحية الرقطاء التي تتلون بكل لون، فهو أسلوب هادئ في تحويل الناس عن الإسلام، ذلك الأسلوب الذي يتفق مع مثلهم المشهور: **(بطيء ولكنه أكيد المفعول slow but sure)** يعمل عمله دون أن يتيقظ الناس للتغيير، وهذا النوع من التنصير هو الأطول أجلًا، الأكيد مفعولًا وإن كان البطيء حركةً، بيد أن آلته تعمل في الخفاء نحو أهداف مرسومة وغايات محسوبة لا تتعجل قطف

(١) التبشير النصراني في جنوب السودان: د. إبراهيم عكاشة علي، ص ١٧٢.
(٢)التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ٦٦.
(٣) الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا: د. عمر سالم بابكور، ص٣٢٢،٣٢١، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة أم القرى ١٤١٧هـ.

الثمار أو جني الحصاد))(١)، بل تعمل حسب الإمكانات المتاحة، وتتبع سياسة النفَس الطويل، ((ففي عام ١٨٥٦م افتتح المنصر الأمريكي "يوحنا هوج" مدرسة للبنين في حجرة مظلمة ورطبة بالدور الأرضي بمنزل بالإسكندرية، والتحق بهذه المدرسة في البداية (١٦) تلميذًا، وكانت الدراسة بها مجانية، وبعد تطوير هذه المدرسة عام ١٨٥٧م وصل عدد التلاميذ فيها نحو (١٩٧) تلميذًا، كان من بينهم نحو (٩٠) من أبناء المسلمين))(٢).

لم يكن التنصير في المؤسسات التعليمية التنصيرية يتم بشكل متعجل أو سافر، حتى لا يؤدي ذلك إلى صدام مع أولياء الأمور أو الحكومات، وإنما كان يتم بطريقة هادئة، وبنفَسٍ طويل، وهو ما أشار إليه أحد القساوسة في مؤتمر القاهرة فقال: ((نفتح للمسلم مدارسنا، ونعرض عليه محاسن لغتنا، ثم نقف أمامه منتظرين النتيجة بصبرٍ وتعلقٍ بأهداب الأمل))(٣)، فالقائمون على العملية التنصيرية يعتقدون بأن المدرسة هي المدخل الطبيعي الذي يستطيعون التنصير من خلاله دون لفت الأنظار، بل إن كنائسهم كانت تعمل – أحيانًا – تحت ستار أنها وحدات تعليمية. يقول د. خالد نعيم: ((عمدت الإرسالية الأمريكية في مصر إلى بناء الكنائس لاتخاذها مراكز للنشاط التنصيري، وقد غدت هذه المراكز التنصيرية تعمل تحت ستار أنها وحدات تعليمية، يعقد بها الاجتماعات الدورية كل يوم أَحَد، حتى أطلق عليها اسم "مدارس الأحد"، حيث كان يدرس بها "الكتاب المقدس"، ويشرف عليها رجال الكنيسة))(٤).

٢- **التعليم التنصيري وسيلة للتنصير غير المباشر:** فقد لجأ المنصرون في بداية الأمر إلى ما يعرف بـ "**التنصير المباشر**"، وفيه يقوم المنصرون بمخاطبة المسلمين بأمور العقيدة وأفضلية النصرانية مباشرة، بطريقة التحدي المباشر للإسلام عن طريق المناظرات ونحوها، وقد كان هذا النوع من التنصير محدود النتائج، وغالبًا ما يثير حفيظة المسلمين ويأتي بنتائج عكسية، ولذا لجأ المنصرون إلى طريقة أخرى في التنصير وهي "**التنصير غير المباشر**"، واتفقت كلمتهم على أن التعليم هو

(١) راجع بتوسع: التنصير "مفهومه. جذوره. أهدافه. أنواعه. وسائله..": أكرم كساب، ص ٢١٢ وما بعدها، مركز التنوير الإسلامي، بدون تاريخ.

(٢)الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية: د. خالد نعيم، ص ٩٥، ٩٦ باختصار.

(٣) الغارة على العالم الإسلامي: تأليف أ. لُ شاتليه، لخصها ونقلها إلى العربية: محب الدين الخطيب، ومساعد اليافي ص ٧٠، الدار السعودية للنشر، جدة، السعودية، الثانية ١٣٨٧هـ.

(٤) الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر: د. خالد محمد نعيم، ص ٨٠، كتاب المختار، القاهرة، بدون تاريخ.

أفضل طرق التنصير غير المباشر، ففيه يتم تنصير الطلاب والطالبات بالتدرج ومن خلال الوسائط الفكرية والتعليمية. يقول أ. محمود شاكر رحمه الله: ((لقد علم المبشرون أنفسهم علمًا يقينًا أن الدعوة إلى المسيحية من حيث هي عقيدة لا تلقى في المسلمين أذنًا سميعة، فكان المخرج من هذا المأزق، أن يكون عمل التبشير في ميدان غير ميدان الدعوة الصريحة إلى المسيحية..، وكانت الوسيلة الأولى لبلوغ ذلك هي "التعليم"، وبالاستيلاء على هذا الحصن يتم للمبشرين ما يريدون من هزيمة العالم الإسلامي بلا ضجيج يزعج))(١)، وذكر في موضع آخر أن التنصير المعاصر هو عامل شديد الخفاء بليغ الأثر، يتزيَّى بكل زِيّ، على اختلاف الأمور، لابسًا لكل حالة لَبُوسها، حتى لا ينكشف أمره للغافلين عن دسائسه المدروسة المخططة الطويلة الأجل، وكان أخفى طريق عرفه المبشرون، هو "طريق التعليم"؛ لأن حاجة الناس إلى العلم لا تنقطع، ولأن التعليم يضمن تنشئة أجيال قد صبغوا على أيدي معلميهم بالصبغة التي يريدها الدهاة، وهو أخطر عامل في توجيه أفكار الصغار إلى الجهة التي يريدها المعلم(٢).

عندما تمكنت سلطات الاحتلال الإنجليزي من وضع يدها تمامًا على السودان، لم تشأ أن تفتح الباب للتنصير المباشر في السودان الشمالي؛ خوفًا من ردة فعل المسلمين، بينما فتحت الباب للإرساليات للتنصير غير المباشر من خلال التعليم. يقول المبشر "قويني" الذي كان مكلفًا بتنظيم الإرسالية الأسقفية الإنجليزية في السودان: ((بينما كنتُ مهمومًا في داري على أثر عدم التصريح لي بتنصير المسلمين، إذ جاء من يستدعيني عاجلًا إلى سراي الحاكم العام، فذهبتُ والدنيا مظلمة أمامي، وإذا بي أجد معاملة مذهلة، فقد قال لي الحاكم العام مبتسمًا: لقد صُرّح لك بافتتاح مدارس في الشمال، ورقص قلبي فرحًا، وأيقنتُ أن الله قد استجاب لدعائي، فما الفرق بين عدم السماح لي بتنصير المسلمين والسماح لي بتعليم أطفالهم؟!))(٣)، إنه الفرق الكبير والبون الشاسع بين التنصير المباشر الذي يوقظ الغافلين ويلفت انتباههم فيزدادون تمسكًا بدينهم وإصرارًا على عقيدتهم، والتنصير غير المباشر الذي يلقِّن أطفال المسلمين مبادئ النصرانية دون جلبةٍ أو ضجيج.

---

(١) أباطيل وأسمار: محمود محمد شاكر، ص ٢٠١، ٢٠٢ باختصار، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٨٥هـ.

(٢)المرجع السابق، ص ١٥٠، ١٥١ باختصار.

(٣)راجع: التبشير المسيحي في العاصمة المثلثة: حسن مكي محمد أحمد، ص ٨، الدار الوطنية للطباعة والنشر، الخرطوم، السودان، ١٩٨٣م.

**٣- التعليم التنصيري فرصة للتقارب مع المسلمين والاحتكاك بهم:** فالمسلمون هم الهدف الأهم للتنصير، وهم المقصود الأول بالتنصير من طريق التعليم، وهم في سبيل هذا يسعون للاقتراب من المسلمين بأية وسيلة، وهو ما صرح به المبشر "رايد" وهو يعرض تجربته بعد عمل في حقل التنصير امتد لخمسة عشر عامًا في طرابلس وغيرها، فيذكر ((أن الطريقة الوحيدة لاكتساب هذا الشعب إنما هو النفوذ الشخصي إليه، وحتى يستطيع المبشر فعل ذلك يتحتم عليه أولًا أن يقارب المسلمين مقاربةً شديدة، وهنا تبرز الصعوبة.. إن المشكلة في العمل بين المسلمين إذن إنما هي في إيجاد الطريقة التي تساعد فعلًا على الاقتراب منهم))(١).

لقد لاحظ النصارى نفور الناس من المنصرين بمظهرهم التقليدي، فعملوا على تقديم "المنصر" من خلال نماذج أخرى تساعدهم على مهمتهم وتجعلهم مقبولين لدى الناس، وهو ما ألمح إليه المبشر "جون موط" بقوله: ((إن المظهر البريء في الطالب والأستاذ والعامي من الناس لا يصرف المسلم عن سماع أقوال هؤلاء، بينما الثوب الذي يظهر فيه المبشر يعمل على تنفير القلوب))(٢)، وهكذا استطاع المنصرون أن يجدوا حلًّا لمعضلة الاقتراب من المسلمين والتودُّد إليهم دون إثارتهم، ويبدو أنهم وجدوا ضالتهم في "التعليم"، وما من شك في أن التعليم هو وسيلة ناجحة للاقتراب من المسلمين وغيرهم ممن يراد تنصيرهم، وأي اقتراب أشدّ من أن يأخذ المنصر فلذات أكبادهم لساعات طويلة كل يوم للتعليم في المدارس المسيحية، فهي وسيلة طبيعية وسبب قوي للاقتراب من الأولاد وأهليهم على السواء، ولذلك ((أجمعوا أمرهم أن يكون ثمة مدارس حتى يستطيع المبشر أن يتصل بالناس ويدعوهم إلى مذهبه الديني، ولذلك قال اليسوعيون: إن المبشر الأول هو المدرسة))(٣).

وفي أحد المؤتمرات التنصيرية عرض أحد المبشرين تقريرًا عن وسائل التنصير، فأنكر عليه القس "زويمر" إغفاله ذكر المدارس وما لها من التأثير؛ إذ المدارس أحسن ما يعوِّل عليه المبشرون في الاحتكاك بالمسلمين، وبالفعل وُجِّه التعليم التنصيري لتحقيق دعوة "زويمر" لإقناع المسلمين بأن النصارى ليسوا أعداءً لهم، وهو ما صرح به المنصر "أولدهام" فقال: ((إن المسلمين يعتبروننا أعداءً،

(١)المرجع السابق، ص ٤٧.

(٢) التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ٥٠.

(٣)التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ٧٠، ٧١.

وعلينا أن نقنعهم بطريقةٍ أو بأخرى بأن النصارى أصدقاؤهم، ولهذا السبب فإن المدارس والكليات وسائل قيمة يمكنها أن تزيل الكراهية والتحامل، وتصل إلى قلوب الناس))(١).

ومما سبق يتبين أن العمل التنصيري لا يستهدف الطلاب والطالبات فقط، وإنما يرمي إلى خلق أجواء طبيعية تسمح بممارسة التنصير من خلال التواصل والحوار الموجَّه مع أهالي الطلبة وأقاربهم.

٤- **التعليم التنصيري فرصة للتنصير الجماعي والشامل:** فالتنصير الفردي من أقدم الأساليب التي استخدمت في الكنائس والأماكن العامة لتعريف الناس بحياة المسيح وتعاليمه، ولم يلبث هذا الأسلوب أن انحسر، إذ وَجد المنصرون بأن هذه الطريقة عقيمة وقليلة الجدوى، بل وربما كانت مضرة بالتنصير، وذلك لسببين: ((**الأول:** لأنها طريقة بطيئة جدًّا لا تتناسب مع روح التطور العصري السريع، كما أنها لا تتناسب كذلك مع اتساع رقعة العمل الفسيحة أمامهم. **والثاني:** لأن هذه الطريقة تؤدي إلى اقتلاع الفرد من بيئته ومجتمعه، مما يجعله مشلول الإرادة، منبوذًا من قومه، فضلًا عن أنه لن يستطيع التأثير على من حوله ذلك التأثير المطلوب والمرغوب فيه))(٢)، ولهذه الأسباب وغيرها بدأ الاتجاه إلى "التنصير الجماعي"؛ نظرًا لسرعته، ولكونه يوفر البيئة الحاضنة للتنصير، تلك البيئة التي لا يشعر فيها الأفراد بأنهم منبوذون أو مضطهدون.

وقد بدأ الاتجاه إلى "التنصير الجماعي" مع بداية القرن التاسع عشر، ففي مؤتمر القاهرة التبشيري سنة ١٩٠٦م ((اعترف المبشرون ضمنًا بصعوبة التبشير، وأن التبشير كان إلى ذلك الحين فرديًّا يتناول الفرد بعد الفرد، وأنهم يأملون أن يصبح التبشير جماعيًّا يتناول جماعات بقضِّها وقضيضها))(٣)، وعند ذلك بدأت الحاجة إلى استخدام أساليب ووسائل جديدة، من أهمها: التعليم، فهو يستهدف آلاف الطلاب وذويهم في مختلف مراحل التعليم، وفي كافة البلدان التي يتمكن من العمل فيها، ففي سوريا كان اليسوعيون لا يقيمون وزنًا للتنصير الفردي، بل كانوا يسعون إلى التنصير

(١)التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي، ص ٥٥٨.

(٢)تنصير المسلمين "بحث في أخطر استراتيجية طرحها مؤتمر كولورادو التنصيري": عبدالرزاق ديار بكر لي، ص٢٤، الأولى١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

(٣)التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ٥٣.

الجماعي، وكانت البداية: إنشاء مدرسة تبشيرية سنة ١٩٢٥م، وبمرور خمس سنوات جمع اليسوعيون نفرًا من العلويين في جنينة رسلان سنة ١٩٣٠م، وقاموا بتنصيرهم جماعيًّا(١).

لقد قسم أ. إبراهيم خليل أحمد العمل التبشيري إلى ثلاثة أقسام: أهمها: التبشير بين الجماعات: وهذا يحدث بالمدارس ونحوها..(٢)، وفي مؤتمر "كولورادو" التنصيري حدد المؤتمرون للتنصير ثلاثة أساليب: **أولها: الأسلوب المباشر:** الذي يعتمد على الدعوة المباشرة إلى النصرانية، وهو أسلوب قديم كما سبق. **وثانيها: الأسلوب الشامل:** وهو الذي ينشر النصرانية، ويجعلها مألوفة في الأوساط الإسلامية، ويجذب إليها الضحايا من خلال المؤسسات التعليمية، ولم يخلُ هذا الأسلوب من نتائج شاملة ومؤثرة. **وثالثها: الأسلوب غير المباشر، أو أسلوب التسلل:** وهو الأسلوب الجديد الذي قالوا عنه: إنه القوة الصامتة وغير المرئية التي لا تدخل في أي جدال، وعلى الرغم من ذلك تنتقل من خلال العقل إلى القلب والضمير لتحدث معجزة التنصير. تلك هي كلماتهم عن أساليب التنصير، وهي شهادة واعتراف يفضح مؤسسات التعليم التي أقاموها أوكارًا للتنصير، فتعلم فيها أبناؤنا(٣).

ولا فرق – برأيي – بين "التنصير الشامل" و"التنصير غير المباشر"، فهم يعملون من خلال المؤسسات التعليمية بطريقة التنصير الشامل، وبأسلوب التنصير غير المباشر، أو أسلوب "التسلل"، حيث يتسللون من خلال المناهج التعليمية، ومن خلال الأنشطة الكنسية ونحوها إلى عقول وقلوب الشباب والفتيات بشكل صامت، ودون الدخول في أي جدال، وهو الأسلوب الذي تظهر آثاره على المدى البعيد، وهكذا يُصنف "التعليم التنصيري" على أنه "تنصير جماعي"، وهو ما يجعله وسيلة تنصيرية في منتهى الخطورة، ففي الوقت الذي يستغرق فيه التنصير مع الفرد الواحد وقتًا طويلًا وجهدًا ضخمًا، والمردود يكون فردًا أو بضعة أفراد، يثمر "التعليم التنصيري" وينجح في ترسيخ الأفكار النصرانية في نفوس وعقول الآلاف داخل المدارس والمعاهد والجامعات.

---

(١)راجع: المرجع السابق، ص ١٢٢ باختصار.

(٢)المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي: د. إبراهيم خليل أحمد، ص ٥٨، مكتبة الوعي العربي، القاهرة، بدون تاريخ.

(٣)راجع: استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي: د. محمد عمارة، ص ٢١٧ وما بعدها، وراجع بتوسع: التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي، ص ٥٥٣ وما بعدها.

## **المطلب الرابع**: **تاريخ التعليم التنصيري ومؤسساته**:

كانت بداية "التعليم التنصيري" مبكرة جدا، حتى إنه ارتبط ارتباطًا كبيرًا بالإرساليات التنصيرية، ولذا يرى الباحثون أن تاريخ الأعمال التنصيرية في البلاد الإسلامية إلى حدٍّ كبير هو ذاته تاريخ التعليم التنصيري، ففي نهاية القرن الثالث عشر وتحديدًا سنة ١٢٩٤م ظفر المبشر الإسباني "ريمون لول" بمقابلة من البابا "سلستين الخامس"، وقدَّم له خطة للتبشير بين المسلمين، وكانت خطة "ريمون" ذات شقين: أولهما: أن تتخذ الكنيسة العلم والمدارس وسيلة للتبشير، ومعلوم أن "ريمون لول" هو أول من تولى التبشير بالنصرانية بعد أن فشلت الحروب الصليبية في مهمتها(١).

وفي السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر والسنوات الأولى من القرن التاسع عشر ظهرت كثير من الجمعيات التنصيرية، ثم تأسست جمعيات كثيرة تباعًا حتى عصرنا الحاضر، وارتبط بظهورها انتشار واسع للمدارس التنصيرية. يقول المبشر "هاملتون جب": ((لقد انتشرت في منتصف القرن التاسع عشر شبكة واسعة من المدارس في معظم البلاد الإسلامية، ولا سيما في تركيا وسوريا ومصر، وذلك يرجع غالبًا إلى جهود جمعيات تبشيرية مسيحية مختلفة))(٢)، وبلغ اهتمام النصارى بالتعليم أن أصبح محل عناية الباباوات، ففي سنة ١٨٣١م شجع البابا "غريغوريوس السادس عشر" اليسوعيين على المجيء إلى سوريا والعمل فيها، وفي سنة ١٨٨١م أعطاهم البابا "ليون الثالث عشر" حق منح الشهادات بأنواعها، وهكذا نرى أن التبشير من طريق التعليم مشروع بابوي في أساسه وتطوره(٣).

وكانت أول شرارة قدحت في افتتاح المدارس الأجنبية في بلاد المسلمين: في بيروت بإنشاء مدرسة للبنات سنة ١٨٣٠م، وفي مصر عام ١٨٤٠م قام الآباء بتأسيس الكلية الفرنسية بالإسكندرية، ثم تبعتها مدارس الآباء اليسوعيين عام ١٨٨٠م، وبلغ عدد مجموع الطلاب من المسلمين (٧١١٧) طالبًا مسلمًا حتى عام ١٨٩١م، وفي سوريا بذلت جهود موسعة لفتح المدارس التنصيرية، حتى كان نصيب سوريا وحدها من المدارس الأمريكية عام ١٩٠٩م: (١٧٤) مدرسة منثورة في المدن والقرى، وفي عام ١٤١٩هـ افتتحت المدارس الأجنبية في قلب الجزيرة العربية، فكانت أول دفعة منها تربو

---

(١)راجع: الغارة على العالم الإسلامي، ص ٢٩، والتبشير والاستعمار لخالدي وفروخ، ص ٧٧.

(٢) الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون: أ. أنور الجندي، ص ٢٧ باختصار، دار الاعتصام، القاهرة، بدون تاريخ.

(٣) راجع: التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ٧٧ بتصرف.

على (١٠٠) مدرسة في أنحاء مختلفة(١)، ولم يكتف المنصرون بالمدارس، بل طوروا الأمر إلى إنشاء الكليات للتعليم العالي، وكان أولاها في بيروت سنة ١٨٦٢م، ثم فتحوا في استانبول: "كلية روبرت"، ثم في القاهرة: "الكلية الأمريكية"، ثم أنشأ الفرنسيون كلية في مدينة (لاهور) من مدن الهند(٢).

وكان التركيز واضحًا على القارة السوداء "أفريقيا"، حيث اعتبر المنصرون التعليم أفضل وسيلة للسيطرة عليها، وذلك لخلق نخبة أفريقية متعلمة يكون ولاؤها للغرب، وهو ما أعلنه الكاردينال "جوزيف تامكو" أحد زعماء حركة التنصير في أفريقيا، حين قال: ((إذا أردتم لأفريقيا النصرانية دينًا لها فسيطروا على التعليم ودور الثقافة والنشر وإنشاء المدارس الخاصة والعامة))(٣)، ويرجع اهتمام المنصرين بقارة أفريقيا إلى عدة أسباب منها:

١- الجهل الذي ينتشر في ربوع القارة، فهو يعطي المبرر لانتشار المدارس التنصيرية.

٢- انتشار الوثنية في القارة، فالوثنية فيها أكثر انتشارًا من غيرها، واستجابة الوثني للتبشير أسهل – ولا شك – من غيره، وبالتالي فهو في نظر المبشرين إنسان "جاهز" أو "مفرغ" من الداخل، واستعداده لتقبُّل النصرانية أكبر بكثير من استعداد غيره(٤).

٣- الوجود الإسلامي في القارة، فهو الصخرة الصلبة التي تتكسر عليها محاولات التنصير المسيحي. يقول المستر "بلس": ((إن الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في أفريقيا، والمسلم فقط هو العدو اللدود لنا؛ لأن انتشار الإنجيل في أفريقيا لا يجد معارضًا لا من جهل السكان ولا من وثنيتهم))(٥)، وخوفًا من زحف الإسلام على قارة أفريقيا، فالكنيسة تضاعف نشاطها التنصيري لا سيما من خلال التعليم، حيث تشير إحصائية عام ١٩٩٦م إلى أن

---

(١) راجع بتوسع: المدارس العالمية "الأجنبية – الاستعمارية" تاريخها ومخاطرها: د. بكر بن عبدالله أبو زيد، ص ٢٥ وما بعدها، دار ألفا، القاهرة، الأولى ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(٢) راجع: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: د. محمد البهي، ص ٥١٩، ٥٢٠، مكتبة وهبة، القاهرة، الرابعة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

(٣) أساليب المنصرين في الصدّ عن الإسلام في أفريقيا وطرق مواجهتها – دراسة ميدانية على دولة كينيا: نور الدين عوض الكريم بابكر ، ص ٣٤٤، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، سنة ١٤٢٣هـ.

(٤) آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم: د. جابر قميحة، ص ٤٤.

(٥) الغارة على العالم الإسلامي، ص ٣٥، ٣٦.

الكنيسة الكاثوليكية تمتلك في أفريقيا الجنوبية وحدها (مليونين ونصف مليون كنيسة يتبع لها (١٦٠) جامعة، و(٢١٦) معهدًا،..)، وأن مجموع الإرساليات الموجودة في (٣٨) بلدًا أفريقيًّا يبلغ مليونين وأحد عشر ألف إرسالية، وبعضها يملك طائرات تنقل الأساتذة والأطباء، كما أن الباخرة "لارجوس" التابعة لمركز الشبيبة الدولي بالتعاون مع مجلس الكنائس العالمي وبالتعاون مع البروتستانت تؤهل سنويًّا (١٨٠٠) طالبًا جامعيًّا في مختلف المشارف التعليمية، وقد بلغ عدد المنصرين في أفريقيا عام ١٩٩٨م (٦١٣٠٠٠) منصرًا يشرفون على تعليم أكثر من خمسة عشر مليون طالب(١).

## مؤسسات التعليم التنصيري:

نظرًا لأهمية التعليم ودوره في صياغة فكر الناشئة، ولإنجاح مشروع "التعليم التنصيري"، فقد اهتم المنصرون بإنشاء المؤسسات التعليمية في كافة أنحاء العالم، ورأوا – لكي يكون المشروع مكتملًا – أن يتولوا هم التعليم في جميع مراحله، ولذلك باشروا إنشاء المؤسسات التعليمية المختلفة، وسوف ألقي الضوء على مؤسسات "التعليم التنصيري" باختلاف مراحلها على النحو التالي:

### أولًا: مرحلة التعليم العام:

وهي تمثل سنوات التعليم الأولى التي يتشكَّل فيها عقل الطالب وفكره، ويندرج تحتها ما يلي:

**١- دور الحضانة ورياض الأطفال والتعليم الابتدائي:** فقد اهتم المنصرون بها بصفةٍ خاصة، واعتبروا دخول طفلٍ لها بمثابة صيدٍ ثمين لا يقدَّر بمال، ويرجع اهتمامهم بدور الحضانة والتعليم الابتدائي لسببين هما: **السبب الأول:** قابلية الأطفال في هذه المرحلة العمرية للتشكل بالشكل الذي يريده المنصرون، ولذلك قال أحدهم: ((أكثروا من المدارس وخاصة روضات الأطفال، فتلك هي الوسيلة التي تأتي بأحسن الثمار في تنصير المسلمين، ويأتي ذلك بتعليم أولادهم الصغار))(٢)، فهم أشبه بتربة خصبة صالحة لتلقِّي كل ما يُلقى فيها. **والسبب الثاني:** سهولة الاتصال بأهل الطلاب من قِبَل المشرفين عليهم أكثر من اتصالهم بهم في المدارس الأعلى صفوفًا، وهي وسيلة غير مباشرة للتأثير على الأهالي، فقد ينفذون من خلال ذلك الاتصال إلى التنصير بينهم، أو على الأقل إلى

---

(١) التقرير السنوي للتعليم الكاثوليكي في القارة، ديسمبر ١٩٩٦م، نقلًا عن: الكاروز: التنصير في بلاد المسلمين: عبدالجليل ريفا، ص ٢٠٠، ٢٠١، دار جامعة أفريقيا العالمية للطباعة، بدون تاريخ.

(٢) الخطر التبشيري الصليبي في الكويت: أحمد بن عبدالعزيز الحصين، ص ١٩٠، الثامنة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

جلب محبتهم لهم ومساندتهم لأعمالهم، عندما يتظاهر لهم المنصرون بالعطف والحنان على أولادهم والسهر على مصالحهم(١)، والإنسان يميل بطبعه إلى من يهتم بأولاده ويحرص عليهم، من أجل هذا قام المنصرون بنشر الحضانات وروضات الأطفال ومدارس التعليم الابتدائي في كافة أنحاء العالم الإسلامي.

٢- **مدارس التعليم الإعدادي (المتوسط) والثانوي:** فقد أدركت الجمعيات التنصيرية أن التعليم الابتدائي وحده – على أهميته – غير كافٍ لجعل الطلاب مسيحيين حقيقيين متضلعين في العلوم المسيحية، فالمدارس الابتدائية – على حدّ قول المبشر "أنيديلي" –: ((لم تستطع أن تحقق الأهداف الروحية والأخلاقية التي تصبو إليها الجمعيات التبشيرية، وكان سبب ذلك أن تعاليم المسيحية التي تدرسها هذه المدارس لا يمكن أن ترسخ في أذهان الطلاب بسبب فقدان النموّ الفكري الذي ينبغي أن يسبق رسوخ عقيدة جديدة في العقول))(٢)، ولذلك اعتمدت الجمعيات التنصيرية تأسيس مدارس التعليم الإعدادي (المتوسط) والثانوي، ((وتم تزويد تلك المدارس بالقسس والرهبان وذوي الخبرة بما تنطوي عليه النفس العربية والإسلامية، حيث تظاهر هؤلاء الخبراء بدراسة مشاكل الشباب المختلفة؛ لينفذوا إلى نفوسهم لجذبهم إلى مذاهبهم المختلفة))(٣).

من أجل ذلك لا نستغرب أن يهتم المنصرون بالتعليم في مرحلتيه الإعدادية والثانوية، ويدعون إلى إنشاء مدارس كثيرة في كافة الأقطار العربية والإسلامية، بل ويتنافسون في ذلك، ففي عام ١٨٩١م بلغ عدد التلاميذ في المدارس الأمريكية البروتستانتية (٧١١٧) طالبًا، ومنذ الاحتلال البريطاني لفلسطين اتسع التبشير البروتستانتي، لا سيما في مجال التعليم، حتى أصبح في فلسطين (٤١) مدرسة، فيها (٤٨٠٠) تلميذة(٤)، ولا يتسع المقام لسرد تلك المدارس وإحصائها.

## ثانيًا: مرحلة التعليم الجامعي (الكليات والمعاهد العليا):

---

(١) راجع: التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ٧٨، وراجع: التبشير والاستعمار في نيجيريا: خضر مصطفى النيجيري، ص ١٤٨، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(٢)التبشير والاستعمار في نيجيريا: خضر مصطفى النيجيري، ص ١٥٢.

(٣)أخطار التبشير في ديار المسلمين: محمد عبدالرحمن عوض، ص ١٨، دار الأنصار، القاهرة، بدون تاريخ.

(٤)راجع: التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ٧٨ وما بعدها.

يدرك المنصرون أن الطالب يحتاج بعد استكمال الدراسة الثانوية إلى الالتحاق بالجامعة، فراحوا يؤسسون الكليات، ويضعون البرامج لإعداد من سيقوم عليها، بحيث يمكنهم معرفة المداخل التي يؤثرون بها في عقلية هؤلاء الشباب في تلك المرحلة العمرية الخطيرة، ولذا فالتعليم العالي لا يقل أهمية عن سائر مراحل التعليم إن لم يكن أخطرها على الإطلاق، وذلك لأسباب عديدة منها:

١- **أن التعليم الجامعي يساعد على فتح مسارات للحوار:** ففي مرحلة التعليم الجامعي يأخذ التنصير أسلوب المناقشة والبحث العلمي والمحاورة الهادئة، وهو ما أعلنه المبشر "كانون دالي"، فقد عرض في مؤتمر "أصدقاء إنجلترا" الرغبة في تأسيس مدرسة عليا يتم التدريس فيها على مستوى جامعات أكسفورد وكمبردج، واقترح أن يتم دراسة الديانة المسيحية، وأكد على أن المحاضرات يجب أن تكون إيجابية وليس بها تناقض، وذكر أن مثل هذه الدراسات في المدرسة العليا لها أهمية كبيرة للاستفسارات(١)، فهي تتيح الفرصة أمام الطلبة للحوار والمناقشة وطرح ما لديهم من تساؤلات.

٢- **أن التعليم الجامعي يساعد على الوصول إلى الطبقة المثقفة:** فالجامعات أداة توجيه كبرى في البلاد، ومن خلال الجامعات يمكنهم ((أن يجعلوا الآراء المسيحية تتسرب إلى المسلمين وإلى المثقفين منهم خاصة، ثم إن هذه الآراء تتسرَّب بعدئذ من تلقاء نفسها إلى المجتمع الإسلامي، هذه هي الفكرة التي أقنعت المبشرين بضرورة إنشاء المعاهد العالية في البلاد الإسلامية))(٢).

وهكذا يبدو واضحًا سر اهتمام مراكز التنصير بالجامعات، وهو ما عبر عنه المبشر "هنري جسب" بقوله: ((لنبتهل إلى الله في سبيل تعميد نفوس أولئك الشبان الذين يترددون على هذه الكليات))(٣) يقصد تنصيرهم، ويقول المنصر "جورج بيترز" في بحثه المقدم إلى مؤتمر كولورادو عام ١٩٧٨م: ((إنها لحقيقة تاريخية أن العديد من الكليات قد فتحت الأبواب إلى عالم جديد لآلاف الناس، ومكنتهم من قراءة الإنجيل والأدب النصراني، وهذه الكليات التي كانت وما زالت مركزًا لتأثير عظيم في الشرق الأوسط والأدنى هي: كلية روبرت في استانبول، والجامعة الأمريكية في بيروت والقاهرة،

(١)الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا: د. عمر سالم بابكور، ص ٣٢٨ بتصرف.

(٢)التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ٧٩.

(٣)الزحف إلى مكة "حقائق ووثائق عن مؤامرة التنصير في العالم الإسلامي": د. عبدالودود شلبي، ص ٨٢، ٨٣، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

والخليج العربي، وجامعة سنغور الفرانكفونية في الإسكندرية، وجامعة الأخويين في المغرب،..))(١)، ولا يتسع المقام لإحصاء الكليات والمعاهد العليا التابعة لمراكز التنصير في كافة الأقطار العربية والإسلامية، غير أنه ينبغي التوقف عند جامعتين؛ لما لهما من تأثير وشهرة في مجال التعليم التنصيري، وهما:

**الأولى: الجامعة الأمريكية في بيروت:** ففي عام ١٨٥٦م أنشأت الإرسالية الأمريكية البروتستانتية أخطر مراكز التنصير في العالم الإسلامي على الإطلاق، وهي "الكلية السورية الإنجيلية"، والتي عرفت فيما بعد باسم "الجامعة الأمريكية في بيروت"، وقد أنشئت هذه الجامعة لتُربى بداخلها الكوادر التنصيرية من كافة الدول العربية الأخرى، ففي اجتماع ضم "دانيال بلس" الرئيس الأول للكلية، وجونسون "قنصل الولايات المتحدة " في بيروت، وآخرين، قرر المجتمعون اتجاه تلك الكلية فقالوا: ((**نحن نصرّ على الطابع التبشيري للكلية، وعلى أن يكون كل أستاذٍ فيها مبشرًا مسيحيًّا**)).

وفي أول الأمر مالت الكلية إلى كتمان جهودها التنصيرية تجنبًا لسخط الحكومة العثمانية، وهو ما أفصح عنه "دانيال بلس" بقوله: ((إن السنوات الأولى التي شهدت تطور الكلية قضت أن تسير الكلية في مجراها بهدوء قدر الإمكان، فلا تلفت إليها نظر رجال الحكم قبل أن تثبت جذورها في الأرض))، وقد جعل المنصرون التدريس فيها باللغة العربية، وذلك للتودد إلى العرب والتقرب إليهم، لكن بعد سقوط الدولة العثمانية، وسيطرة إنجلترا وفرنسا على العالم العربي تحولت هذه الكلية علانية، وأصبحت تسمى باسم "الجامعة الأمريكية"، كذلك تحولت اللغة العربية التي كانوا يدرسون بها إلى اللغة الإنجليزية، وذلك لتلقي في روع طلابها من العرب أن لغتهم قاصرة عن استيعاب المصطلحات العلمية الحديثة، وقد ظهر ذلك علانية في كتاباتهم، ولم يكتف القائمون على أمر الجامعة الأمريكية في بيروت أن يكون رئيس هذه المؤسسة مبشرًا، بل أصروا على أن يكون جميع المدرسين فيها مبشرين، ورغم أن الجامعة تتظاهر بأنها قد تحولت إلى مؤسسة علمية بحتة، فالشواهد

(١)التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي، ص ٥٥٨.

كلها تؤكد أنها كانت ولا زالت تؤدي رسالتها التبشيرية، وهو ما صرح به الدكتور ستيفن بنروز "رئيس الجامعة" بأنه جاء مبشرًا لا معلمًا(١).

**الثانية: الجامعة الأمريكية في القاهرة:** فقد توَّجت الإرسالية الأمريكية جهودها التنصيرية بإنشاء الجامعة الأمريكية في قلب العاصمة المصرية عام ١٩١٩م، عندما اتضحت لها أهمية القاهرة كمركز ثقافي هام يتولى زمام القيادة الفكرية الإسلامية في العالم الإسلامي، بسبب وجود الأزهر بها، ويقال: إن أساس تكوين الجامعة الأمريكية في مصر كان تنفيذا لوصية مؤتمر القاهرة المنعقد سنة ١٩٠٦م بزعامة "زويمر"، فقد ناقش المؤتمرون مشكلة وجود مدارس أو معاهد أو جامعات إسلامية، إذ كانوا يرون في هذه المعاهد والجامعات الإسلامية عقبة أمام نشاطهم، الأمر الذي جعلهم ينتبهون إلى خطرها ويدعون إلى مواجهة التعليم بالتعليم، وقد كشف أحد أعضاء المؤتمر عن مدى خوفهم من دور الأزهر بالذات بقوله، وعرض اقتراحًا بإنشاء مدرسة جامعة نصرانية، وتكون مشتركة بين كل الكنائس المسيحية في العالم على اختلاف مذاهبها لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة، وتتكفل بإتقان تعليم اللغة العربية، وختم كلامه قائلًا: ((ربما كانت العزة الإلهية قد دعتْنا إلى اختيار مصر مركز عملٍ لنا، لنسرع بإنشاء هذا المعهد المسيحي لتنصير الممالك الإسلامية))(٢)، ولم تمض سنوات حتى دخل هذا الاقتراح حيز التنفيذ، وتأسست الجامعة الأمريكية لتكون مركزًا تنصيريًّا خطيرًا، فقد أخذت الجامعة على عاتقها مهمة العمل التنصيري في مصر، وهو أمرٌ لمسه طلاب الجامعة وخريجوها، ففي نهاية عام ١٩٣١م فضح الشاب الفلسطيني عبدالقادر الحسيني الدور التنصيري للجامعة الأمريكية في القاهرة، ففي يوم احتفال الجامعة السنوي بتسليم شهاداتها للمتخرجين، الذين كان عبدالقادر الحسيني واحدًا منهم، وجلس عبدالقادر في صفوف المتخرجين المستعدين لتسلم شهاداتهم، ونودي على اسمه ليتسلم شهادته، ولكنه ما إن تسلمها حتى مزقها إربًا إربًا على مرأى من الجميع، وصرخ في وجه رئيس الجامعة قائلًا: إني لستُ في حاجة إلى شهادة من معهدكم، الذي هو

---

(١) راجع بتوسع: التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ٩٥ وما بعدها، والجذور التاريخية: د. خالد نعيم، ص ٥٣، والغارة على العالم الإسلامي، ص ١٨٠ (حاشية)، والتبشير والاستشراق والدعوات الهدامة: أ. أنور الجندي، ص ٩ بتصرف، دار الأنصار، القاهرة، بدون تاريخ.

(٢) راجع بتوسع: الغارة على العالم الإسلامي، ص ٥٧، ٥٨، والجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية: د. خالد نعيم، ص ٨٥، ٨٦، والإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب: د. كرم شلبي، ص ٤٩، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

معهد تبشيري استعماري، ثم ألقى الطالب كلمة قصيرة، حمل فيها على التبشير والاستعمار، وأصاب رئيسَ الجامعة الذهول من هول المفاجأة! وكانت هذه الحادثة هي البداية الحقيقية لفضح نشاط الجمعية الأمريكية التنصيري بالقاهرة(١).

## ثالثًا: مؤسسات التعليم الفني والتدريب المهني:

لم يكتفِ المنصرون بمؤسسات التعليم العام والجامعي، بل توسعوا فأنشأوا مؤسسات التعليم الصناعي والتدريب المهني «من خلال إنشاء المدارس ومراكز التدريب والورش للشباب والفتيات التي تستقطب إليها الطاقات، وتخضع لبرامج نظرية فيها دروس حول الثقافة والمجتمع والدين والآداب المبسَّطة التي تنفُذ من خلالها التعاليم النصرانية، ويقوم على التدريب فيها منصرون بلباس الفنيين والمدربين»(٢)، ويهدف المنصرون من خلال مؤسسات التعليم الفني والتدريب المهني إلى تحقيق الآتي:

١- **الاستقلال المالي والاجتماعي والتنشئة النصرانية للفئات المستهدفة:** وذلك أنه لما كان التعليم المهني موجهًا بالأساس إلى الأيتام الذين يربيهم المنصرون في الملاجئ، فإن إكساب هؤلاء مهنة سيحقق لهم الاستقلال المالي ويجعلهم يعتمدون على أنفسهم في كسب رزقهم، وبالتالي لن يرتبطوا بأي أحد، الأمر الذي يهيئ لهم الابتعاد عن ذويهم والانفصال عن محيطهم الإسلامي، وتنشئتهم تنشئة نصرانية، لا سيما إذا تعرضوا للنبذ من طرف الأهل والعائلة، فإن إتقانهم مهنة وقدرتهم على الكسب تجعلهم قادرين على الحياة بعيدًا عن ذويهم، وبالتالي عدم العودة إلى دين آبائهم وأجدادهم(٣).

٢- **استغلال التدريب المهني كستار يعملون تحت مظلته:** فقد استغل المنصرون معاهد التدريب أو مراكز التأهيل والتدريب المهني كلافتة يعملون من خلالها، وهو ما حكاه د. ناصر التويم، أنهم كانوا في جولة في جنوب أفريقيا، وزاروا مركزًا للتدريب مهمته جمع الطلاب وتدريبهم على المهن

---

(١)الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية: د. خالد نعيم ، ص ١٩٨ وما بعدها.

(٢)التنصير: مفهومه، وأهدافه، ووسائله، وسبل مواجهته: د. علي إبراهيم النملة، ص ٤٧، ٤٨، دار الصحوة، القاهرة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٣) راجع: التعليم التبشيري في الجزائر: وعلي محمد الطاهر، ص ١٣٢ بتصرف، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الجزائر، سنة ١٩٨٩م.

المختلفة، يقول: إن الداخل للمركز لا يلحظ أي نشاط تنصيري، ولكنني عندما سألتُ أحد المسؤولين: هل لكم أنشطة أخرى؟ أجاب قائلًا: ليس لنا أنشطة أخرى، ولكن بعض الطلاب أصرُّوا علينا أن نقوم بصلاة صباحية!. يقول د. التويم: فعلمنا أنه معهد تنصيري، ولكنه يتخفَّى في مظلة التدريب والتأهيل(١).

**٣- الظهور أمام الشعوب بأن الكنيسة تعمل على ترقية المجتمع في المجال التعليمي والتقني:** وذلك لكسب ثقته، وبالتالي الحصول على مزيد من التأييد وتوسيع قاعدتها الشعبية، لا سيما وأن هذا النوع من التعليم تظهر نتائجه بسرعة، وبالتالي سينبهر الآباء بما أتقن أبناؤهم من مهارات يدوية وبذلك لن يمانعوا من إرسال أولادهم إلى مثل هذه المؤسسات، وبالتالي الوقوع في قبضة المنصرين حينئذ(٢).

**٤- استيعاب المتسربين من التعليم العام أو الجامعي:** وهو ما اعتمده المنصرون في أفريقيا وغيرها، ففي زنجبار ركز الأسقف "سميتز" على تحسين التعليم الصناعي وبالذات بين البنات، إذ كان يوجد (١٢) بنتًا من مدرسة "تاكيري" غير راغبات في التعليم، فتم وضعهن تحت إشراف منصرتين، وسكنوا فوق سطح المدرسة حيث يعشن ويتعلمن صناعات مختلفة..، وعند افتتاح الجناح الصناعي في اليوبيل السنوي، قامت البنات بتزيين المكان بأعلام اليوبيل، وفي القمة وُضع صليب الكنيسة(٣).

وحرصًا من بعثات التنصير على تحقيق هذه الأمور، فقد انتشرت مدارس التعليم الصناعي ومراكز التدريب والتأهيل المهني في كافة الأقطار العربية والإسلامية، وكان منها الموجه للذكور، وهذا يغلب عليه الطابع الزراعي وما يتعلق به، كالحدادة والبناء، وتربية الحيوانات، ومنها الموجه للإناث، فكان يقوم على تعليم فنون التدبير المنزلي، كالخياطة، والطبخ، وكذا أشغال الصوف والغزل

---

(١) جاء ذلك في محاضرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بتاريخ ١٤٢١/١/٤هـ، ألقاها د. ناصر التويم "أستاذ الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة – جامعة الإمام" عقب عودته من جولة أفريقية. راجع: أساليب المنصرين: نور الدين بابكر، ص ٣٥٠، ٣٥١.

(٢) راجع: التعليم التبشيري في الجزائر: وعلي محمد الطاهر، ص ١٣٣.

(٣) الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا: د. عمر سالم بابكور، ص ٣٢٩، ٣٣٠ باختصار.

ونحوها، ومؤخرًا ازداد هذا الكم من المدارس بصورة كبيرة، وأُدخلت فيه التقنيات الحديثة وتعليم الحاسب الآلي ونحو ذلك.

وفي سنة ١٩٢٢م اتخذت حكومة شرق أفريقيا أول خطوة نحو ترقية المدارس المهنية لتصبح جامعة كلية شرق أفريقيا، وهي من أهم المؤسسات التعليمية في أوغندا، وهي كلية ذات مستوى جامعي، وتضم طلابًا من كل أنحاء شرق أفريقيا، وهي تابعة لجامعة لندن، وبالتالي فهي التي كانت تضع لها برامجها، وتعين هيئة التدريس الذين يلقنون الطلاب التعاليم المسيحية(١).

وفي سنة ١٨٩٦م أقيمت المدرسة الصناعية للرقيق المحررين بمدينة مسقط، وكان الغرض إكساب أولئك الطلبة المهارات الصناعية باعتبارها أكثر السبل التي سيتمكنون بها من شق طريقهم في الحياة بعد مغادرتهم المدرسة، واشتمل المنهج الدراسي على تدريس الديانة النصرانية، كما اشتمل البرنامج التعليمي على دراسة يومية للإنجيل، إلى جانب الصلوات العائلية وصلوات يوم الأحد(٢).

## رابعًا: محو الأمية وتعليم الكبار:

استطاع المنصرون من خلال التعليم بمختلف مراحله أن يصلوا إلى الشباب والفتيات في كافة مراحلهم العمرية، وظل شغلهم الشاغل هو كيفية الوصول إلى الكبار، فقد شكَّل هذا صعوبة بالغة بالنسبة لهم، ولما كانت "الأمية" هي السمة الغالبة على هذه الفئة العمرية، اتفقت كلمة المنصرين واجتمع رأيهم على أن يكون محو الأمية هو السبيل للوصول إلى هذه الفئة المستهدفة بالتنصير، ففي مجلة "العالم الإسلامي" كتب بنيامين ماراي مقالًا موضوعه: "شمالي نيجيريا ميدان للتبشير"، استعرض فيه حالة تلك البلاد وما هي عليه من التأخر العلمي على الأخص، إذ أن الذين يحسنون القراءة والكتابة لا يتجاوز (٢,٥٪)، ثم قال: ((وهذا يتيح فرصة عظيمة للتعليم التبشيري المسيحي))(٣)، ولذلك قاموا بإعداد برامج لمحو الأمية بمحتويات إنجيلية تعين على التعلم والقراءة والكتابة، يقول جون تايلور "مسؤول مشروع محو الأمية من أجل التنصير" الذي بدأ في سنة ١٩٦٧م: أن إرساليته مستعدة لتوصيل المنهج الإنجيلي إلى أي مكان يُطلَب فيه من قِبَل المنصرين وغيرهم من المستعدين

(١) راجع بتوسع: المرجع السابق، ص ٣٣٩، ٣٤٠.

(٢) راجع: الحملات التنصيرية إلى عمان: د. سليمان بن سالم الحسيني، ص ١٨٩ وما بعدها، دار الحكمة، لندن، بدون تاريخ.

(٣) التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ٧٠.

لتدريسه، ويضيف بأنه إذا لم يكن هناك برنامج لمحو الأمية في لغة من اللغات متوفرًا بين سكانها، فالمنصرون مستعدون لتعليمه، حيث يشكل فريق من أهل تلك اللغة مع خبراء آسيويين أو أمريكيين لعمل منهج والبدء بتدريسه في أقل من عام، ومن بين اللغات المتوفرة في برنامجه: خمس لغات بنغالية، وخمس بورمية، وعشرين هندية وكورية وآشورية، وست لغات نيجيرية، وعشرات اللغات الأفريقية الأخرى، ويهدف مشروع محو الأمية التنصيري إلى مواصلة تعليم الأميين وتحسين مستواهم ومعيشتهم وتقوية اعتقادهم الإنجيلي))(١).

وفي عام ١٩٠٥م خاض المبشر "ماكاي" معركة تعليم الكبار في أوغندا، ثم انتشر تعليم الكبار في أوغندا، لدرجة أنه في نهاية عام ١٩٠٧م بلغ عدد القراء حوالي مائة ألف قارئ(٢).

ومن الخطط المستقبلية التي أعلن عنها مؤخرًا في مؤتمر "كوالالمبور" المنعقد في سنة ٢٠٠١م: تطبيق برنامج "محو الأمية والتنصير"، هذا ما عرضته منظمة "الزمالة التنصيرية الدولية" ضمن رسالة، خلاصتها أن المنصر إذا عرف أشخاصًا يريدون تعلم القراءة في منطقة عمله، فإن لدى منظمة الزمالة برنامج لمحو الأمية بمحتويات إنجيلية، تعين الطالب على تعلم القراءة والكتابة، وقراءة فقرات من الإنجيل، كلٌّ بلغة بلده، فالهدف من هذا البرنامج محو الأمية للتمكن من قراءة الكتاب المقدس(٣).

أما عن كيفية التنصير بين الأميين فقد ((تفتقت قريحتهم عن أن يعمد المبشر إلى الاتصال الشخصي بالأميين، وأن يبدأ الكلام معهم عن مقام عيسى ﷺ، فيتكلم مثلًا عن المسيح بأنه روح الله كما جاء في القرآن، وعلى المبشر أن يقول أمام الأميين "القرآن الكريم"، وأن يذكر الشفاعة والجنة والنار وما إلى ذلك من الألفاظ الإسلامية استمالةً للسامعين الأميين، فإذا وثق من آذانهم صبَّ فيها تبشيره))(٤).

---

(١)أساليب ووسائل التنصير في المؤسسات التعليمية الجزائرية: د. جمال حواوسة، بحث (منشور) بمجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، العدد (٤١)، سنة ٢٠١٨م ، ص ٣٦١.

(٢) راجع: المرجع السابق، ص٣٣٣ وما بعدها.

(٣) محو الأمية من أجل التنصير: صهيب جاسم، ص ١ ، نقلًا عن: التنصير في فلسطين في العصر الحديث: أمل عاطف محمد الخضري، ص ١٧٤ باختصار، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجامعة الإسلامية، غزة، سنة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٤) التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ٨٢، ٨٣.

**والخلاصة:** أن المنصرين قد اتخذوا من أجل الوصول إلى أغراضهم أساليب متعددة، من أهمها: المدارس التي نشروها في أرجاء العالم الإسلامي، ولم تنج منها حتى عاصمة الخلافة الإسلامية نفسها، للدرجة التي جعلت "زويمر" يقف على جبل الزيتون في القدس إبان الاحتلال الإنجليزي لفلسطين سنة ١٩٣٥م، ويقول بكل زهو وغرور: ((لقد قبضنا في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية))(١)، ولم يترك المنصرون مجالًا من مجالات التعليم إلا ودخلوا فيه وطوعوه لخدمة التنصير، ((ففي سيرلانكا وغيرها قامت الإرساليات بإنشاء مدارس لتعليم المكفوفين والصم والبكم والعجزة، وهذا النوع من المدارس لم يكن معروفًا في الشرق، ولذا فقد أحدث أثرًا كبيرًا في نفوس الناس وجذب الكثيرين إلى المسيحية))(٢)

وبمطالعة سريعة لفعاليات مؤتمر القدس التبشيري سنة ١٩٣٥م، ومؤتمر كولورادو سنة ١٩٧٨م وغيرهما، يتبين للقارئ حجم الاهتمام والعناية بالتعليم التنصيري من قِبَل إرساليات التنصير، ويظهر ذلك بوضوح من خلال الميزانيات الضخمة والإمكانيات الهائلة التي ترصدها دول الغرب سنويًّا لمكافحة الإسلام والحدّ من انتشاره، ومعظم هذه الميزانية يتم إنفاقه على الجامعات والمدارس التنصيرية، الأمر الذي يثير تساؤلًا في غاية الأهمية: ما الأهداف التي يسعى النصارى لتحقيقها من خلال التعليم التنصيري؟ وهو ما سيأتي الإجابة عليه في المبحث التالي.

(١) جذور البلاء: عبدالله التل، ص ٢٧٥، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الأولى ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.

(٢) معركة التبشير والإسلام "حركات التبشير والإسلام في آسيا وأفريقيا وأوروبا": د. عبدالجليل شلبي، ص ١٣٥، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة، الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

# المبحث الثاني

# أهداف التعليم التنصيري

لعب "التعليم التنصيري" دورًا بارزًا في خدمة أهداف التنصير، ولذا فقد حرصت المؤسسات التنصيرية على توجيه التعليم في مراحله المختلفة بالبلاد العربية والإسلامية، ويمكن القول بأن "التعليم التنصيري" قد توفر له من العناية والاهتمام ما لم يتوفر لغيره من وسائل التنصير المختلفة.

ويهدف "التعليم التنصيري" بشكل عام إلى: «إنشاء أجيال جاهلة بربها ورسولها، مجردة من أي معرفة بأحكام الكتاب والسنة، أجيالًا تتنكَّر لشخصيتها الإسلامية، وتبغض دينها، وتجهل تقاليدها، وتنظر إلى تاريخها الحافل بالأمجاد بنظرة الاحتقار، وتعتبر حضارتها الرائعة شيئًا أكل عليه الدهر وشرب، وتقتنع بأن ثقافتها قد تقادم عليها العهد، وتؤمن بأن نظامها للفكر والعمل لا يصلح للعصر الحاضر، ويترسخ في ذهنها وقلبها أنه إذا كانت هناك معارف فهي التي تدون في الغرب، وإذا كانت هناك حضارة فهي التي مهدها الغرب، ومن هنا يخرجون جيلًا بلا عقيدة، يسهل توجيهه إلى أي اتجاهٍ كان. هذا الجيل رسم ملامحه المبشر "جب" وهو يتحدث عن هدف المدارس التنصيرية فقال: إنها لن تفرز إلا هياكل بشرية خالية من الفضائل والأخلاق والمُثُل؛ لأنها لتفريخ مسوخ آدمية متنكرة لدينها ووطنها وأبناء جلدتها»(١)، وحتى تتضح الصورة أكثر، فسوف أتناول أهداف "التعليم التنصيري" بشيءٍ من التفصيل من خلال المطالب التالية:

## المطلب الأول: الغزو الفكري لعقول الناشئة من أبناء الأمة:

والغزو الفكري تعبير مجازي يُقصَد به هنا: «قيام أعداء الإسلام وخصومه بمحاربته، ومحاولة القضاء عليه، وإيقاف مدِّه، وإخراج المسلمين منه، أو صرفهم عن التمسك به؛ لإحكام السيطرة عليهم، واستغلالهم وشلّ بواعث القوة فيهم، بالطرق غير العسكرية»(٢)، فهي محاولات يقوم بها خصوم الأمة الإسلامية لتشكيك المسلمين في مبادئ دينهم وتعاليمه، «والمنصرون هم رسل الغزو الفكري، الذين يلبسون في كل مكان ينزلون فيه مسوح التقوى، ويلوحون للناس بأنهم ملائكة الرحمة ورسل الإنسانية،

---

(١) الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام: د. سعدالدين صالح، ص ٧٤ باختصار.

(٢) الغزو الفكري: د. إسماعيل علي محمد، ص ١٤.

وحملة مشاعل النور والثقافة، وذلك بما يضفونه على عملهم التنصيري من أقنعة براقة، تخدع الناظرين وتستميل قلوبهم ونفوسهم وأفكارهم؛ لتوقعهم في الشَّرَك، حتى إذا ظفروا بصيدهم شدُّوا عليهم وثاق الأسر المعنوي الشامل للأسر الفكري والقلبي والنفسي...))(١)، ومن الوجوه المستعارة: المؤسسات التعليمية التنصيرية التي تحمل ألوان الثقافة المدسوسة بما يريدون غزو الشعوب الإسلامية به فكريًّا وثقافيًّا.

لقد لجأ الغرب إلى سلاح من نوع جديد استطاع من خلاله أن يحقق ما عجز عنه في الحقب الغابرة، حين سخَّر العلم لإفساد الشعوب ونشر الضلال، وهو ما عبر عنه العلامة الندوي بقوله: ((لقد كان نظام التعليم الغربي محاولة عميقة وخفية لإبادة العنصر الإسلامي والقضاء عليه، وانتقل مفكرو الغرب من طريقتهم الممقوتة القديمة التي كانوا يؤثرونها في إبادة الأجيال والفتك بها إلى هذه الطريقة الجديدة التي قرروا صوغها في قالبهم، فأسسوا لهذا الغرض مراكز كثيرة باسم الكليات والجامعات، وقد عبر عن هذه الحقيقة التاريخية أحسن تعبير الشاعر الإسلامي "أكبر آبادي" بقوله: يا لبلادة فرعون الذي لم يصل تفكيره إلى تأسيس الكليات، وقد كان ذلك أسهل طريق لقتل الأولاد، ولو فعل ذلك لم يلحقه العار وسوء الأحدوثة في التاريخ))(٢).

ومما سبق يتبين أن "التعليم التنصيري" من أشد وسائل التنصير فتكًا بالمجتمع المسلم، فهو يعمل بصورة هادئة، ويتحرك في مسارات تتوازى أحيانًا، وتتكامل أحيانًا، وتتوالى أحيانًا، هذه المسارات هي:

١- **التخريب العقدي والتدمير الخلقي:** إنها المهمة الكبرى التي قامت من أجلها مؤسسات التعليم التنصيري، وهي القضاء على مصدر القوة التي يرتكز عليها المسلمون وهي "العقيدة والقيم والأخلاق"، والبداية أن تسمح الأمة بنظام تعليم وافدٍ في ظل عقيدة غير عقيدتها، وأخلاق غير أخلاقها، فيفضي ذلك إلى زعزعة العقيدة، والانحراف الأخلاقي، والاضطراب الفكري، وبه تؤول حياة الأمة إلى انقسام وصراع، صراع بين ما نشأ عليه الطفل وتربى وبين ما يدرسه ويتلقاه، وهو صراع

---

(١) أجنحة المكر للميداني، ص ٤٢ وما بعدها.

(٢) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية: أبو الحسن الندوي، ص ١٧٨.

ناشئ عن التناقض المفضي إلى الاضطراب، ولذلك كان التعليم هو أخطر وسائل التنصير بلا منازع؛ نظرًا لما يحدثه في نفوس الأطفال من زلزلة عقائدهم وبلبلة أفكارهم وتدمير أخلاقهم، ويصور العلامة الندوي حالة الصراع الناجم عن التعليم التنصيري فيقول: ((إن روح نظام التعليم وضميره إنما هو ظل لعقائد واضعيه ونفسيتهم..، تخيل تأثير هذا التعليم على أمة تؤمن بعقائد معينة وتتبنى فلسفة مستقلة وأسلوبًا خاصًّا للحياة، إذا كانت أمة هذه صفتها تتبنَّى نظام تعليم لأمة تختلف في الأساس والقيمة والمعيار، يحدث هنالك صراع مستمر، يجرُّ إلى بناء واحد وهدم آخر، إلى تصديق واحد وتكذيب آخر، إلى إجلال واحد وازدراء آخر، وفي مثل هذه الحال يجب أن يحدث هناك نزاع عقلي، وتزعزع في العقيدة وانحراف عن الدين، وأخيرًا قبول القيم والأفكار الحديثة مكان القيم والأفكار السابقة. تلك هي قصة نظام التعليم الغربي، فإنه يحمل روحًا وضميرًا منفردًا تتجلى فيه عقيدة مؤلفيه وعقيدة واضعيه، وتعبير عن أفكار أهل الغرب وقيمهم، فإذا ما طُبق هذا النظام التعليمي في بلاد مسلمة، أو مجتمع إسلامي يحدث به قبل كل شيء صراع عقلي ثم يتدرج ذلك إلى تزعزع العقيدة والردة الفكرية، وأخيرًا إلى الردة الدينية))(١).

ولعل هذا ما قصده القس "زويمر" بقوله: ((إن لنتيجة إرساليات التبشير في البلاد الإسلامية مزيتين: مزية تشييد، ومزية هدم، أو بالأحرى مزيتي تحليل وتركيب))(٢)، فهو يريد بالهدم أو التحليل انتزاع المسلم من عقيدته وسلخه من منظومة قيمه وأخلاقه، ويريد بالبناء والتركيب إعادة صياغة فكر المسلم وفق عقيدة الغرب ومنظومة قيمه. ويؤكد المبشر "تاكلي" أن مناهج التعليم التنصيري هي البداية لزعزعة عقيدة الطلاب وإضعاف صلتهم بكتابهم وقيمهم فيقول: ((يجب أن نشجع إنشاء المدارس، وأن نشجع على الأخص التعليم الغربي. إن كثيرين من المسلمين قد زعزع اعتقادهم حينما تعلموا اللغة الإنجليزية. إن الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس أمرًا صعبًا جدًّا))(٣)، وما من شك في أن الشخصية المفرغة عقديًّا تكون صيدًا ثمينًا للمنصرين، وتلك هي

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية: أبو الحسن الندوي، ص ١٧٣ وما بعدها باختصار.

(٢) الغارة على العالم الإسلامي، ص ١٦، ١٧.

(٣) التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ٨٨.

البداية، فالمدارس والجامعات التنصيرية إن لم تمحُ – في المجموع – عقائد الطلاب والطالبات، فيكفي أنها بذرت بذور الشك والانحراف، الأمر الذي يؤدي إلى خلخلة المعتقدات وبلبلة الأفكار.

في مؤتمر القدس التنصيري سنة ١٩٣٥م استمع "زويمر" إلى خطب المنصرين اليائسة، فقام وألقى على المؤتمرين خطبة جاء فيها: ((إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقًا لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها..، وبالتالي جاء النشء الإسلامي مطابقًا لما أراده الاستعمار، لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل، فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات..))(١)، ويبدو واضحًا من كلام "زويمر" أن الهدف يتمثل في تشكيك المسلم في عقيدته، وزعزعة ثقته فيها لتدمير أخلاقه وقيمه الإسلامية، حتي يصير مسخًا لا يصلح لشيء، وهو ما بينه المسيو "آتين لامي" بقوله: ((إن مقاومة الإسلام بالقوة لا تزيده إلا انتشارًا، فالواسطة الفعالة لهدمه وتقويض بنائه هي تربية بنيه في مدارس المسيحية، وإلقاء بذور الشك في نفوسهم من عهد النشأة، حيث نفسد عقائدهم من حيث لا يشعرون وإن لم يتنصَّر منهم أحد، فإنهم يصيرون لا مسلمين ولا مسيحيين، وأمثال هؤلاء يكونون بلا ارتياب أضرّ على الإسلام، مما إذا اعتنقوا المسيحية وتظاهروا بها))، وهكذا استطاع النصارى بهذا الأسلوب الماكر أن يوجدوا للإسلام داخل حصنه المنيع عدوه اللدود؛ وتلك هي أفضل الطرق لمحاربة الإسلام بأهله دون جَلَبَة ولا ضوضاء(٢)

ولذلك حرص التنصير من خلال مؤسساته التعليمية على بث سموم الميوعة والانحلال في نفوس الشباب، ومن وسائله في ذلك: ((نشر الاختلاط بين الجنسين في مراحل التعليم، وقد بدأوا بها في الجامعات في أكثر البلاد الإسلامية، تحت دعوى التقدم والتمدن ونشر الروح الجامعية..، وتوسعوا في أمر الاختلاط فجعلوه في المرحلة الابتدائية، بل وجعلوه في المرحلة الثانوية، وهو أخطر ما يكون، وهكذا يسبق التحرر والاختلاط، ليزول الحياء قبل الاختلاط، فيسقط آخر مانع يحول دون اشتعال

(١) راجع: جذور البلاء: عبدالله التل، ص ٢٧٥، ٢٧٦ باختصار.

(٢) الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام: د. سعد الدين صالح، ص ٧٦ باختصار.

النار، وهكذا مثلت الازدواجية في التعليم تكتيكًا مرحليًّا مارسه أعداء الإسلام والصليبيين في الشرق الإسلامي))(١).

٢- **تشويه الثقافة الإسلامية واحتقار كل مقومات الفكر الإسلامي:** فقد أدرك المنصرون عظمة الثقافة الإسلامية، وأنها مصدر عزة وسر قوة للأمة العربية والإسلامية، وأيقنوا أن أمة لها هذه الثقافة لا يمكن أن تخضع أو تذل، فبذلوا جهدهم لتشويه هذه الثقافة والحط من شأنها في نفوس أصحابها، حتى يخلقوا نوعًا من التخاذل والهزيمة النفسية لدى المسلمين، وراحوا يقارنون بين العلوم الإسلامية والعلوم الغربية، ودائمًا ما تكون نتيجة المقارنة لصالح الآداب والعلوم الغربية، مستخدمين في ذلك كل وسائل الكذب والافتراء والتزوير للحقائق، فهم لا يخجلون من نسبة كل إنجاز علمي أو ثقافي أنجزه العرب والمسلمون لغيرهم زورًا وبهتانًا. يقول "أرنست رينان": ((الفلسفة العربية هي الفلسفة اليونانية مكتوبة بأحرف عربية))، ويعلق د. عمر فروخ قائلًا: ولا نعلم نحن ما الذي دفع وزارة المعارف اللبنانية إلى تبني هذا الرأي – غير أصابع اليسوعيين – وترديده في صور مختلفة في امتحانات البكالوريا، فلقد سئل هذا السؤال في أشكاله المختلفة في دورات كثيرة، ففي سنة ١٩٣٤م جاء السؤال بصيغة: هل من فلسفة عربية؟، وفي سنة ١٩٤١م جاء بصيغة: هل أضاف فلاسفة العرب شيئًا جديدًا إلى فلسفة الأقدمين حتى يمكن القول أن للعرب فلسفتهم كما لليونان فلسفتهم؟، وفي سنة ١٩٤٦م قيل: لم تستقم للعرب فلسفة؛ لأنهم لم يوحدوا بين العناصر الأجنبية التي نقلوها، إنما اكتفوا بعرضها متجاورة لا متفاعلة.. هذا عدد من الدورات التي سئل فيها مثل هذا السؤال، والويل للتلميذ الذي ينتصر للفلسفة "العربية"(٢).

ولم يكتفوا بذلك، بل راحوا يرجعون كل صورة من صور التخلف الحضاري والعلمي لدى العرب والمسلمين إلى تمسكهم بالإسلام، وهكذا نجح المنصرون في استراتيجيتهم العالمية، التي كانت ترمي إلى: ((إنشاء عقلية عامة تحتقر كل مقومات الفكر الإسلامي، وإبعاد العناصر التي تمثل

---

(١) الإسلام في مواجهة الغزو الفكري الاستشراقي والتبشيري: د. محمد حسن بخيت، ص ٢٨٣، دار مجدلاوي، عمان الأردن، الأولى ٢٠١٢م.

(٢) التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ٢١٩، ٢٢٠ باختصار.

الإسلام عن مراكز التوجيه))(١)، وهو "الاستغراب" الذي ألمح إليه المستشرق "جب" فقال: ((التعليم أكبر العوامل الصحيحة التي تعمل للاستغراب، فقد انتشر في منتصف القرن التاسع عشر شبكة واسعة من المدارس في معظم البلاد الإسلامية، هذه المدارس صاغت أخلاق التلاميذ وكونت ذوقهم، والأهم أنها علمتهم اللغات الأوروبية التي جعلت التلاميذ قادرين على الاتصال المباشر بالفكر الأوروبي، فصاروا في مستقبل حياتهم مستعدين للتأثر بالمؤثرات التي فعلت فيهم فعلها أيام الطفولة))(٢)، فالهدف أن يتشبه التلميذ بالنصارى في زيهم وأخلاقهم، وممارساتهم وطريقة تفكيرهم، وينسى كل ما يذكِّره بالإسلام وثقافته شكلًا ومضمونًا، وهذا الاستغراب هو ما أطلق عليه الأستاذ أنور الجندي "**التيه الفكري**"(٣).

ومما سبق يتبين أن تغريب المسلمين وتشكيكهم في دينهم وهدم قيمهم وتشويه ثقافتهم أهداف أصيلة في عمل المنصرين، ربما تفوق في اهتمامهم بالدعوة إلى النصرانية.

## المطلب الثاني: إخراج المسلمين من دينهم وتنصيرهم:

فمما لا شك فيه أن المنصرين قد اتخذوا "التعليم التنصيري" وسيلة لغزو الشعوب غزوًا فكريًّا بغية تنصيرهم، وتلك هي المحطة الأخيرة، فقد ((سعى المنصرون في المرحلة الأولى إلى جعل المسلمين أنصاف مسلمين، من خلال طبعهم على حب الثقافة الغربية النصرانية وقطعهم عن الثقافة الإسلامية، وفي المرحلة الثانية يجعلونهم لادينيين؛ لأن علاقة آبائهم مع الإسلام كانت علاقة اسم ومظهر اجتماعي فحسب، وفي المرحلة الثالثة يُخلَقون نصارى))(٤)، فالبداية هي هدم الإسلام نفسه في قلوب المسلمين، وهو ما أكد عليه رئيس مدرسة تبشيرية في فلسطين، حينما سئل من قِبَل زملائه: كم نصَّرتَ من أبناء المسلمين؟ فأجاب قائلًا: لا تسألوني كم مسلمًا نصرته، ولكن سلوني كم مِعْوَلًا صنعته من هؤلاء الأبناء لهدم الإسلام نفسه!(٥)، وقد أعلن "زويمر" ذلك في مؤتمر "أدنبرة" سنة

---

(١) العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي: أ. أنور الجندي، ص ٤١٧، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الثانية ١٩٨٣م.

(٢) الاتجاهات الفكرية المعاصرة: د. علي جريشة، ص ١٠٥، ١٠٦ باختصار، دار الوفاء، المنصورة، مصر، الثالثة ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

(٣) راجع: التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة: أ. أنور الجندي، ص ٥ وما بعدها.

(٤) أساليب ووسائل التنصير في المؤسسات التعليمية الجزائرية: د. جمال حواوسة، ص ٣٥٠.

(٥) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام: الشيخ محمد الغزالي، ص ٢٢٥، دار الكتب الحديثة، القاهرة، الثالثة، بدون تاريخ.

١٩١٠م فقال: ((يجب علينا قبل أن نبني النصرانية في قلوب المسلمين، أن نهدم الإسلام في نفوسهم، حتى إذا أصبحوا غير مسلمين سهل علينا أو على من يأتي بعدنا أن يبنوا النصرانية في نفوسهم. إن عملية الهدم أسهل من عملية البناء في كل شيء إلا في موضوعنا؛ لأن هدم الإسلام في وجدان المسلم معناه: هدم الدين على العموم، وهي خطة مخالفة لما ندعوا إليه؛ لأنها خطة إلحاد وإنكار للأديان جميعًا، لكن لا سبيل إلى تخليص المسلمين من الإسلام غير هذا السبيل))(١)، فأي خيرٍ يُرتجى منهم بعد أن يهدموا العقائد والقيم في نفوس الشباب، ثم يأخذونهم بعد ذلك إلى اللادينية التي تعني الإباحية والانحلال والإلحاد؟!

إن نجاح المنصرين في تنصير الطلاب والطالبات لهو مكسب كبير لهم؛ لأن هؤلاء الطلاب والطالبات لهم أقارب وأصدقاء ومعارف، ويُرجى من هؤلاء الذين تم تنصيرهم أن يمارسوا عملية "التنصير الذاتي"، وهي: ((أن يعمل المتنصرون على الدعوة إلى النصرانية بين أهليهم وذويهم حتى يسيروا على نهجهم، ويتقمصوا النصرانية دينًا، ولبلوغ هذا الهدف، استخدم المبشرون كثيرًا من الشبان المتنصرين في أغراضهم التبشيرية، فمنهم من اشتغل بالتدريس في مدارسهم، ومنهم من كُلِّف بتلقين مبادئ الديانة المسيحية في المستشفيات، ومنهم من انخرط في الجمعيات التبشيرية،.. وهكذا أدرك المبشرون مدى التأثير الذي يمكن للمتنصرين أن يحدثوه في محيطهم، باحتكاكهم بذويهم بشكل مباشر))(٢).

وهو ما ألمح إليه بابا الفاتيكان في إحدى جولاته في أوروبا، فقد أعرب أتباعُه عن فزعهم الشديد من المدّ الإسلامي النامي وسط الجاليات الإسلامية، وما رافق ذلك من بناء مراكز إسلامية تؤمُّها أعداد ضخمة من الرجال والنساء، فسألهم البابا: وأين أبناؤهم؟ فقالوا: في مدارسنا، قال: إذن فاطمئنوا(٣). يقصد أن التنصير يستمر بهؤلاء الأطفال الذين يتربون في مدارسهم، وأكد على ذلك هوارد بلس حين قال: ((التعليم في مدارسنا وجامعاتنا هو الطريق الصحيح لزلزلة عقائد المسلم وانتزاعه

(١) الإسلام في وجه التغريب: أ. أنور الجندي، ص ٧١، دار الاعتصام، القاهرة، بدون تاريخ.
(٢) راجع بتوسع: التعليم التبشيري في الجزائر: وعلي محمد الطاهر، ص ٦٦ وما بعدها.
(٣) أطفالنا المهاجرون وأكذوبة التعليم الديني: أسعد طه، مجلة منار الإسلام، الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة، عدد (٨)، السنة الرابعة عشرة، مارس ١٩٨٩م، ص ١١٧.

من قبضة الإسلام))(١)، وفي تقرير "النظام التعليمي في نيجيريا" تبين أن المدارس التابعة للمبشرين والكنائس كانت تجبر التلاميذ المسلمين على اعتناق المسيحية وإلا طُرِدوا من المدرسة(٢).

ومما سبق يبدو واضحًا أن إخراج المسلمين من دينهم وتنصيرهم هو غاية الغايات وهدف الأهداف من التعليم التنصيري، وأن "التنصير الذاتي" هو أهم وأخطر ثمرات التعليم التنصيري؛ لأنه يؤدي إلى نشر الأفكار التنصيرية بين الأقارب والأصدقاء دون مقاومة تذكر، ودون لفت للأنظار.

## المطلب الثالث:

## إعداد قادة وكوادر وتمكينهم من مواقع المسؤولية والتأثير في أوطانهم:

هؤلاء القادة والكوادر هم ثمرة الغزو الفكري، فقد تم انتقاؤهم وإعدادهم في مؤسسات التعليم التنصيري ليقوموا بتحقيق ما عجز عنه أعداء الإسلام، وفي هذا الإطار يرى بعض المبشرين ((أن المدارس قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحي، ثم إن هذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يومًا ما قادة في أوطانهم))(٣)، الأمر الذي يظهر بوضوح أن إحدى غايات التعليم التنصيري: إعداد قادة الرأي والتأثير في البلاد، ومخططهم في ذلك يرتكز على عدة أمور منها:

١- **التركيز على أبناء الوجهاء والأمراء وكبار رجال السياسة:** فقد اهتمت الدول المستعمرة بتثقيف أبناء الأمراء والعظماء، ونقلهم إلى التعليم في المعاهد الأجنبية، وذلك لخلق هذه الطبقة وإعدادها، وقد كان إغراؤهم عجيبًا لأصحاب المراكز العالية على تعليم أبنائهم وبناتهم، وقد أشارت تقاريرهم إلى ذلك بما أسمته "نزوع الطبقة الراقية إلى المدارس الأجنبية"(٤)، وهو ما يتجلى في قول المنصرة "آنا ميلغان": ((لقد استطعنا أن نجمع في صفوف كلية البنات في القاهرة بنات آباؤهن باشاوات وبكوات))(٥)، فالتعليم هو الذي يهيئ قادة الشعوب، لا سيما وأن هذه الكليات لا يدخلها –

---

(١) الزحف إلى مكة: د. عبدالودود شلبي، ص ٧٨.

(٢)الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر: د. خالد نعيم، ص ١٥.

(٣)التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ٦٧باختصار.

(٤)التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة: أ. أنور الجندي، ص ٨٦ باختصار.

(٥)التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ٨٦.

في الغالب – إلا أبناء النخبة، وهم يؤهلونهم لتولي المناصب القيادية والأماكن ذات التأثير في بلادهم، وهنا مكمن الخطر.

ففي مصر افتتحت الإرسالية الأمريكية عام ١٩٢٤م في الإسكندرية أخطر مؤسسة تنصيرية على مستوى الوجه البحري كله، وهي مدرسة مشتركة للبنين والبنات، مدة الدراسة بها (١٢) سنة، ويلتحق بها الطالب منذ نعومة أظافره، في سن حوالي (٦) سنوات، كان يقوم بالتدريس في "مدرسة شوتس الأمريكية" هذه أعضاء الإرسالية الأمريكية أنفسهم، وكانت المواد الدراسية التي تُقدَّم في هذه المدرسة هي نفسها المستخدمة في الولايات المتحدة، وكان يغلب عليها الطابع الديني المسيحي الغربي، وكانت الدراسة بها باللغة الإنجليزية، وقد بلغ عدد الطلاب بهذه المدرسة الأمريكية عام ١٩٧٩م حوالي (١٨٠) طالبًا وطالبة، ومن بينهم نحو (٧٠) طالبًا وطالبة من أبناء الدبلوماسيين المصريين المسلمين(١).

وفي كينيا كانت الإرساليات التنصيرية تتنافس في جلب أبناء زعماء القبائل باستقطابهم للمدارس التنصيرية؛ لكونهم هم الزعماء لهذه القبائل مستقبلًا، لذلك أنشأت جمعية التبشير الكنسي مدرسة "أولاد الزعماء" عام ١٩٠٦م، ثم أقيمت عدة معاهد بعد ذلك في وسط كينيا وغربها، أطلق عليها "معاهد الأمراء"، وقد تحققت نظرة هذه الكنائس فيما بعد في كثير من جوانبها، وأصبح تلاميذ الكنائس ومعاهدها بالأمس زعماء اليوم، فقد كان "مورس أوتونغا" رئيس الكنيسة الكاثوليكية السابق في كينيا من أبناء زعماء القبائل الذين درسوا في هذه المدارس، ومن هؤلاء الذين تنصروا – وهو خير شاهد على ذلك –: وزير الخارجية الكيني "بنيًا قودانا"، وهو من أسرة مسلمة، أبوه وجده مسلمان، أخذته الكنيسة وهو صغير، ودرس على يدي النصارى حتى حصل على درجة الدكتوراه، ولكنه فقد دينه، وهكذا تم الدفع بأبناء الزعماء إلى هذه المدارس؛ تمهيدًا لاستخدامهم في بلادهم، وتمكينهم من مواقع المسؤولية والتأثير.

٢– **فرض التعليم التنصيري مقابل المساعدات المادية في بعض الدول:** لم يكتف المنصرون باستهداف أبناء الزعماء، بل استغلوا فقر بعض المناطق، وسلبوا منهم فلذات أكبادهم مقابل مساعدات

(١)الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر: د. خالد نعيم، ص ٩٦، ٩٧ باختصار.

سموها – كذبًا – مساعدات إنسانية، ((ففي السنغال تُوقِّع البعثات التبشيرية مع عدد من الأسر الفقيرة عقودًا تقدم بموجبها تلك البعثات إلى الأسر السنغالية مساعدات عينية في كل شهر، على أن يكون لها الحق في اختيار طفل من أطفال الأسرة تربيه على حسابها، وتختار البعثة صبيًّا دون الخامسة من العمر، ثم ترسله إلى مدرسة (تبشيرية طبعًا)، وينقطع الصبي عن أهله وينشأ نشأة مسيحية، ثم يُرسَل إلى فرنسا لإتمام تعليمه العالي، بعدئذٍ يُعاد إلى السنغال ليستخدم في الأغراض التي توافق هوى فرنسا، وحينما يعود الصبي السنغالي الذي أصبح رجلًا مسيحيًّا فرنسيًّا إلى السنغال يُمنح حق المواطن الفرنسي في المستعمرات من حيث المستوى الاجتماعي والوظائف))(١).

٣- **اختيار النجباء للمنح الدراسية في الجامعات الغربية:** وذلك للاستعانة بهم في المستقبل لإنجاز مهام تنصيرية، تحتاج إلى كوادر علمية وثقافية على قدر عالٍ من الذكاء والنجابة، ولذلك فإنهم يختارون النجباء ويستقطبون النابهين، لكونهم مؤهلين للقيادة والتأثير أكثر من غيرهم. يقول أحد المنصرين: ((فبين آلاف الطلاب فئة صغيرة من المتحمسين الجادِّين.. قادة المستقبل في الشرق الأدنى، هؤلاء هم الذين يدربهم مبشرنا ليصبحوا أساتذة وأطباء وتجارًا وصيادلة ومهندسين و.. الذين يتجاوبون بوعيٍ أكبر واستعدادٍ أكثر من باقي زملائهم مع المناخ النفسي للكلية، وهم يُحضَّرون بطريقة محددة ليصبحوا مراكز الأضواء والقيادة في كل هذه المنطقة))(٢)، وما من شكٍّ في أن مَن ذكرهم المبشر هم صفوة المجتمع، ودوائر تأثيرهم أوسع من غيرهم، ولذلك تحرص الجامعات التنصيرية على تخريج مجموعات كبيرة من هؤلاء، ففي الجزائر كان المنصرون يولون التعليم الثانوي بالغ الاهتمام، لا سيما الموهوبين منهم، فقد أسس المبشر "لافيجري" ما يعرف بـ "السمنار الصغير" الذي كان يهدف إلى تكوين النخبة الموالية لفرنسا، والمُدافِعة عن المسيحية في الجزائر، ولم يكتف بذلك، بل أسس سمنارًا صغيرًا آخر في فرنسا، واستقبل فيه (٦٠) تلميذًا جزائريًّا ابتداءً من سنة ١٨٧٤م(٣).

---

(١)مقال منشور بمجلة روزا ليوسف، القاهرة، السنة (٢٩)، العدد (١٨٤٧) بتاريخ ١٩٦٣/١١/٤م، ص ٢٦، نقلا عن: التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ٣، ٤ باختصار.

(٢)الزحف إلى مكة: د. عبدالودود شلبي، ص ٨٨.

(٣)التعليم التبشيري في الجزائر: وعلي محمد الطاهر، ص ١٣٤، ١٣٥.

٤- **غرس الولاء في نفوس الطلاب تجاه من علموهم:** وهذا هو الهدف في الحقيقة: السيطرة على الجيل الجديد منذ مطلعه؛ لإعداده على النحو الذي يكفل له – عندما يصبح في مكان القيادة السياسية والاجتماعية والثقافية في وطنه – أن يكون صاحب ولاء فطري وثقافي، قوامه الحب والإعجاب والتقدير للذين علموه ونشؤوه، ((ويزداد الأمر خطورة حين تتوزع ولاءات الطلاب، بأن يرفع كل طالب لواء الدولة التي تلقى تعليمه فيها، ويترنم بمحاسنها وأمجادها..، ويترتب على توزع الولاءات: اختلاف الآراء وتباين المنازع، فالذين درسوا بعض العلوم باللغة الإنجليزية يريدون أمريكا أو انجلترا وصية على بلادهم، والذين درسوا بالفرنسية يطلبون فرنسا تتولى أمرهم، وقد يكون ميلنا إلى الأمة التي نتعلم على نفقتها دليلًا على عاطفة عرفان الجميل في نفوس الشرقيين))(١).

وهذه هي الروح التي يعود بها هؤلاء الطلاب والطالبات إلى بلادهم، إنها الروح المشبَّعة بالولاء والطاعة لمن تتلمذوا على أيديهم، وساهموا في تشكيل عقولهم وتكوين ثقافتهم، ولذلك فالبعض منهم يتنصَّر، ومن لم يتنصر يبدي تفهمًا وتساهلًا مع أولياء نعمته، وطلاب اليوم هم قادة الغد، يصنعهم الغرب على عينيه ليكونوا حلفاء المستقبل، وهو ما شرحه الفيلسوف الوجودي الفرنسي "جان بول سارتر" في مقدمته التي صدَّر بها كتاب "المعذبون في الأرض" للمفكر الأفريقي "فرانس فانون" فقال: ((كنا نُحضر رؤساء القبائل وأولاد الأشراف والأثرياء والسادة من أفريقيا وآسيا، ونطوف بهم بضعة أيام في أمستردام، ولندن، والنرويج، وبلجيكا، وباريس، فتتغير ملابسهم، ويلتقطون بعض أنماط العلاقات الاجتماعية الجديدة، ويتعلمون لغاتنا وأساليب رقصنا وركوب عرباتنا، وكنا ندبِّر لبعضهم أحيانًا زيجات أوروبية، ثم نلقنهم أسلوب الحياة الغربية، كنا نضع في أعماق قلوبهم الرغبة في أوروبا، ثم نرسلهم إلى بلادهم، وأي بلاد؟!.. بلاد كانت أبوابها مغلقة دائمًا في وجوهنا، ولم نكن نجد منفذًا إليها، كنا بالنسبة إليهم رجسًا ونجسًا، لكن منذ أن أرسلنا المفكرين الذين صنعناهم إلى بلادهم كنا نصيح من أمستردام أو برلين أو باريس: " الإخاء البشري"، فيرتدُّ رَجْع أصواتنا من أقاصي أفر يقيا أو الشرق الأوسط أو شمالي أفريقيا، كنا نقول: "ليحل المذهب الإنساني أو دين الإنسانية محل الأديان المختلفة"، وكانوا يرددون، هذه أصواتنا من أفواههم، وحين نصمت يصمتون، إلا أننا كنا

(١)التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة: أ. أنور الجندي، ٨٥ وما بعدها باختصار.

واثقين من أن هؤلاء المفكرين لا يملكون كلمة واحدة يقولونها غير ما وضعنا في أفواههم»(١)، وإذا كان هذا حجم التغيير الذي يطرأ على هؤلاء الرؤساء والسادة بفعل بضعة أيام يتجولون فيها بين العواصم والمدن الأوروبية، فما الظن بطالب يظل في مدارسهم لسنوات يتم بناؤه فيها فكريًّا وإعداده ثقافيًّا!!

**٥- التمكين لخريجي التعليم التنصيري في بلادهم:** بعد أن ينجح القائمون على التعليم التنصيري في غرس الولاء في نفوس الطلاب، يسهل عليهم بعد ذلك تكوين وانتقاء النخب الذين سيعهدون لهم بالأمر مستقبلًا، وهم تلك الصفوة من المجتمع التي بإمكانها أن تمسك بمقاليد أموره، وتسيير شؤونه بشكل مباشر أو غير مباشر، وذلك لما تتمتع به من نفوذ وتأثير، «وبذلك يتسنى للمنصرين التأثير على الجيل الناشئ، وخاصة قادة الرأي من أبناء المسلمين الذين يتوقع لهم أن يشغلوا المناصب العليا ذات التأثير الفعال في جميع المجالات ثقافيًّا وأدبيًّا، وسياسيًّا، وإداريًّا، ودينيًّا، ثم تحاط هذه المجموعة بهالة إعلامية وتوجه إلى المقدمة لتتولى مهمة القيادة فيما بعد»(٢)، ولذلك يجد خريجو التعليم التنصيري – دون غيرهم – المجال أمامهم مفتوحًا لتولي المناصب العليا، فقد أتيح بالفعل لكثير منهم أن يتسلموا مقاليد الحكم والتوجيه في البلاد الإسلامية، ومن لم يُتح له منهم الوصول إلى المناصب القيادية فقد ظل على ولائه للغرب وعمل بمقتضى ثقافتهم وقيمهم. يقول الأنبا "يوحنا قلتة": «وإننا لنفخر دومًا بأن قادة المجتمع الإسلامي في أغلبهم من خريجي مدارسنا، ونفخر بأن نجوم الفنون والآداب لم ينسوا فضلنا، والعلاقات بينهم وبين مدارسنا ومعاهدنا لم تنقطع»(٣)، وما داموا قد تنكَّروا لإسلامهم واحتقروا تاريخهم، سيضمن لهم التنصير أن يظلوا محمولين على الأكتاف ليجتذبوا بهم غيرهم من ضعاف النفوس.

---

(١) الزحف إلى مكة: د. عبدالودود شلبي، ص ٨٨، ٨٩.

(٢) التنصير في فلسطين في العصر الحديث: أمل عاطف محمد الخضري، ص ١٦٩ باختصار، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجامعة الإسلامية، غزة، سنة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٣)المسيحية والألف الثالثة: الأنبا يوحنا قلتة، ص ١٤٤، دار مصر المحروسة، القاهرة، الأولى ٢٠٠٢م.

ويستنتج مما سبق: أن التنصير كان يلعب دورًا قبل وأثناء وبعد الاستعمار، أما قبل الاستعمار ((فالمبشر يسبق الجيش إلى كل مكان))(١)، وأما أثناء الاستعمار فالتنصير يقوم بتبرير الاستعمار، ويغرس في الناس تقبُّله والتغاضي عن جرائمه، وأما بعد الاستعمار فمهمة التنصير: إعداد قادة وكوادر يتولون قيادة البلاد وفق ما يريد المستعمر، حتى أضحى رحيل الاستعمار عن بعض البلاد شكليًّا فقط، أما في الحقيقة فهو باقٍ من خلال أذنابه ورجاله الذين يدينون له بالولاء والطاعة، فهم ينفذون له ما يريد، بل وفوق ما يريد أحيانًا.

---

(١)التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ١١٦.

# المبحث الثالث

# أساليب التعليم التنصيري

بذل المنصرون جهدهم واستفرغوا كل ما في وسعهم لتحقيق أهداف "التعليم التنصيري" سالفة الذكر، والتي تتلخص في تنصير المسلمين أو إبعادهم عن دينهم وكسب ولائهم، واتخذوا من أجل الوصول إلى أغراضهم أساليب كثيرة في مجال التعليم التنصيري، وقد اتسمت أساليبهم بالآتي:

١- **أنها أساليب متنوعة وشاملة:** أما أنها متنوعة، فقد استخدم المنصرون في التعليم كافة الأساليب المتاحة، ولم يقفوا عند أسلوبٍ بعينه، وأما أنها شاملة، فهي تشمل كل نواحي التأثير في الإنسان، كما أنها تشمل كل عناصر العملية التعليمية ومكوناتها، سواء ما يتعلق بالمعلمين والمعلمات، أو بالمناهج الدراسية، أو بطريقة التدريس نفسها، أو بالفئات المستهدفة بالتنصير من طريق التعليم.

٢- **أنها أساليب متطورة:** فهم يراجعون أساليبهم ويطورونها باستمرار، ويجرون فيها تعديلات نبَّهت عليها التجارب، كما أنهم لا يألون جهدًا في تقويم أدائهم ورصد أخطائهم والاستفادة من كل ذلك في عملية المراجعة والتطوير المستمر، وقد ساعدهم على التطور في أساليبهم: ما حققته مجتمعاتهم مع توالي الزمن من تقدم مادي وتكنولوجي، وما حققته بلادهم من سيطرة عسكرية وسياسية واقتصادية على معظم بلدان العالم الإسلامي، وفيما يلي أستعرض أهم أساليب "التعليم التنصيري" من خلال المطالب الآتية:

## المطلب الأول: إعداد المناهج بعناية بحيث تتضمن التعاليم المسيحية:

طالما كانت المدارس والجامعات تابعة لجهات التنصير، فهم الذين يضعون لها الخطط الدراسية، ويحددون المناهج والكتب المقررة، ويأتي هذا بعد رسم السياسة العامة للتعليم التنصيري وتحديد أهدافه بوجهٍ عام، والمراد بالخطة الدراسية: ((ما يتم به تحديد المواد المقرر دراستها، وتربية النشء ضمن حدود المعارف التي تشتمل عليها، ثم يأتي المنهج، وهو ما يتم به تحديد الموضوعات التي يُراد شرحها للتلاميذ، من المادة المقررة في الخطة، بحسب المستوى الدراسي من المرحلة الدراسية

التي يراد وضع مناهج موادها المقررة، وبعدها يتم تأليف أو اختيار الكتاب المناسب لمنهج المادة المقررة»(١).

والمتأمل في مناهج التعليم التنصيري ومراحل تطورها يلاحظ الآتي:

١- **عدم التقيد بالمناهج الرسمية للبلاد:** فهي مؤسسات ذات رسالة تنصيرية بحتة، وبالتالي فهي ترفض التقيُّد بالمناهج الرسمية للبلاد التي تعمل بها، وهو ما علَّله المبشر "دانبي" بوضوح قائلًا: «إن تقيُّد هذه المدارس بالمناهج الرسمية يُفقدها صفتها التبشيرية المسيحية، ويجعلها مدرسة في عداد المدارس الوطنية، فتبطل الغاية من وجودها»(٢)، ولأجل هذا فقد استمرت مطالبات المؤسسات التنصيرية بجعل التعليم حرًّا، بغرض الاكتفاء بتدريس مادة الدين النصراني واعتبارها مادة أساسية، ففي نيجيريا كان التعليم في رياض الأطفال والمدارس الابتدائية باللغة المحلية، وقد طبع الإنجيل وكتاب الصلوات وكتاب التراتيل باللغات المحلية. تقول المبشرة "أنا هندرار": «كانت الكنيسة في بداية الأمر هي مركز التعليم، وقد خصصنا جناحًا خاصًّا للطلاب المبتدئين الذين لا يعرفون القراءة ولا الكتابة، وكنا نبدأ معهم بإعطائهم قصة قصيرة سهلة من الإنجيل، ثم نطلب منهم رواية هذه القصة بعد الاستماع إلى المدرس لنتأكد من أن طلابنا قد وعوها وفهموها، ثم بعد ذلك يقوم المدرس بتدريس فكرة قصيرة من الكتاب المقرر أو مقطعًا صغيرًا من كتاب التراتيل، وكنا نقضي بقية الوقت في مطالبة تلاميذنا بترديد كتاب "خلاصة العقيدة المسيحية"، وأحيانًا يجمع المدرس جميع طلاب المدرسة لمراجعة العقيدة المسيحية والصلاة الربانية (أبانا الذي في السموات..) والوصايا العشر؛ ليتأكد من أن الطلاب لم ينسوها»(٣)، وكذا في إندونيسيا وغيرها.

وكانت الجامعة الأمريكية في بيروت تخيِّر طلابها بين أن يحضروا صفوف التوراة وبين أن يتلقوا دروسًا في الأخلاق، وكان طبيعيًّا أن يختار الطلاب المسلمون دروس الأخلاق، لكنهم فوجئوا

---

(١)راجع: غزو في الصميم: د. عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص ٤٧ وما بعدها، دار القلم، دمشق – بيروت، الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

(٢)التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ٦٩.

(٣) التبشير والاستعمار في نيجيريا: خضر النيجيري، ص ١٤٨، ١٤٩.

بكتاب وضعته الجامعة لا يختلف عن التوراة في شيء إلا في اسمه فقط، أما موضوعاته فقصص مأخوذة من التوراة ومن أخبار القديسين، فرفضوا شراء الكتاب أو قبول تعيين درس منه(١).

٢- **تدريس العلوم الحديثة بمضامين وآراء نصرانية:** فقد انتفضت حكومات بعض الدول وشعرت بخطر التعليم التنصيري؛ لكونه لا يتقيد بالمناهج الرسمية للتعليم الوطني، وبالتالي فهو يهدد اللحمة الوطنية، ويتلاعب بأفكار النشء، ((ففي سنة ١٩٥٦م ألغيت المدارس التنصيرية في مصر والسودان، وطُلب إليها – إذا كانت تريد أن تستمر في هذين البلدين – أن تتقيد بأنظمة الحكومتين وبمنهاجهما))(٢)، كما أن القائمين على التعليم التنصيري رأوا أن الاكتفاء بتدريس التوراة وتعليم الديانة النصرانية غير ممكن، وأن تجاهل العلوم الحديثة كالرياضيات والكيمياء والحقوق والاجتماع والاقتصاد ونحوها غير منطقي، فهي علوم عظيمة ونافعة، وعدم تدريسها في مؤسسات التعليم التنصيري يضعف مستواها التعليمي، ويفقدها القدرة على منافسة التعليم الحكومي، ويؤدي إلى انصراف الناس عنها، فلجأوا إلى سياسة جديدة، وهي تدريس المناهج الرسمية للبلاد وإضافة العلوم الحديثة، مع التأكيد على المبادئ المسيحية والتعاليم النصرانية كلما سنحت فرصة في أي فرع من فروع العلوم، فقد قرر مؤتمر القدس التبشيري المنعقد عام ١٩٣٥م أن يُستغَل كل درس في سبيل تأويل مسيحي لفروع العلوم كالتاريخ، وعلم النبات،.. إلخ(٣)، وهو ما يطلق عليه "تطعيم البرامج التعليمية بالمسيحية"، ومن ذلك: استخدام نصوص مستخرجة من الإنجيل في دروس تقدم للتلاميذ، أو واجبات يُطلَب منهم إنجازها(٤).

وحتى هذه الموضوعات العلمية البحتة، فقد ذكر المنصرون أنها تحمل معها الأفكار التنصيرية من خلال القائمين على تدريسها، وهو ما كان يحدث بالجامعة الأمريكية في بيروت، فرغم أنها كانت تخفي سياستها التنصيرية خوفًا من أن يغلقها العثمانيون، فإنها لم تألُ جهدًا في التبشير في كل درس، حتى في الدروس التي لا صلة لها بالدين، فقد كانت المبادئ المسيحية موضع تأكيد وتزيين

(١) التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ٨٢.
(٢) المرجع السابق، ص ١١١ (هامش).
(٣)المرجع السابق، ص ١٠٥.
(٤) أساليب ووسائل التنصير في المؤسسات التعليمية الجزائرية: د. جمال حواوسة، ص ٣٥٧.

كلما سنحت لذلك فرصة، حتى درس اللغة الإنجليزية كان يستغل في ترجمة أجزاء من التوراة أو الإنجيل إلى اللغة العربية، وفي هذه الأثناء كان الأستاذ ينتقل إلى مناقشة المشاكل الدينية من الزاوية التبشيرية طبعًا(١)، فالعلوم العصرية تطعم بمواد دينية.

ومثل ذلك في السودان بعد قرار الحكومة بضرورة التزام المدارس التنصيرية بأنظمة الحكومة ومناهجها، فكان الالتفاف على القرار واضحًا وصريحًا، ويتضح ذلك من شهادة الشيخ عبدالرحمن الأمين، السوداني، وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، أثناء مروره في بحر الغزال، وزيارته لمدرسة يؤمها عدد كبير من أبناء المسلمين، يقول: ((وفعلًا تمت الزيارة التي استغرقت يومًا دراسيًّا كاملًا، حضرتُ أثناءَه كل الحصص في كل الدروس، فذهبَت كل الدهشة؛ لأن جدول الحصص خالٍ من أي مادة دينية، ولكن الدروس كلها – باستثناء مادة الحساب – هي في الواقع دروس دينية مسيحية، فالتاريخ كله يتعلق برحلات المسيح والحواريين، والصحة كلها تتعلق بالشفاء ببركة المسيح ومسه للمصابين، وشفاء المرضى بدعوته وصلواته، والجغرافيا كلها تتعلق بدراسة الرقعة المسيحية، والمحفوظات عبارة عن تراتيل الكنيسة، وتمجيد المسيح ورسله، والإنجليزية عبارة عن مطالعة من الكتب المسيحية والقصص الدينية، ثم خرجنا من المدرسة وذهبنا إلى الاستراحة، وأفهمتُ الجميع أن كل ما سمعته في المدرسة دروس دينية مسيحية، وأن الطالب حينما يستوعب هذه الدروس ويتخرج من المدرسة، لا بد أن يكون مسيحيًّا أو على الأقل مستعدًّا لاعتناق المسيحية، ولا أثر بالمدرسة للغة العربية، ولا للإسلام، مع أن الطلبة لغتهم العربية ودينهم الإسلام، أو هكذا يعتقدون، لأن عربيتهم ركيكة مفككة أقرب إلى الرطانة، ولأن إسلامهم اسمي يتعصبون له ولا يعرفونه..))(٢).

وهكذا يحاول المنصرون أن يتأقلموا مع واقع البلاد التي يعملون فيها ليضمنوا لمشروعهم التنصيري الاستمرار، فبعد أن فرضت بعض الحكومات عليهم التقيد بالمناهج الرسمية، جرت عملية توفيق الأوضاع بتعديل المنهج دون الهدف.

---

(١) التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ١٠٤، ١٠٥.

(٢) المسؤولية الإعلامية في الإسلام: د. محمد سيد محمد، ص ٣٤٠ – ٣٤٦ باختصار، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، نقلًا عن: الدعوة إلى الإسلام: المؤتمر السابع لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص ١٤٤، ١٤٥.

**٣- تدريس كتب الطعن والتشكيك في الإسلام:** فهي مناهج تهدف إلى محاربة الإسلام في الصميم، وذلك بالتشكيك في عقائده وضرب ثوابته، ونشر الأكاذيب حول كل ما يتعلق برسول الإسلام محمد ﷺ، والطعن في مصدري الإسلام، وهما الكتاب والسنة، بغرض نقض بنيان الشريعة. يقول د. الميداني: ((ذكر لي منتسبون إلى بعض هذه المدارس المؤسسة في بعض البلاد العربية زمرة مما يدرسونه فيها عن الإسلام، وتاريخ العرب وسائر المسلمين، وما يدرسونه عن محمد ﷺ في الكتب المدرسية المقررة عليهم، والمكتوب باللغات الأجنبية التي يدرسونها فيها، فنالني ذهول لم أستطع دفعه لهول ما سمعت من أكاذيب، وتشويه للحقائق العلمية المعروفة في بديهيات الإسلام وتاريخ المسلمين، ولا يمكن أن يعزى ذلك إلى مجرد الجهل، بل إلى مبلغ الحقد الذي تحمله، والكيد الذي تكيده هذه المؤسسات التعليمية للإسلام والمسلمين، وهو ما يدفعها أن تسلك مسالك الكذب على الحقائق العلمية الناصعة، وتقدمه إلى روادها باسم العلم، وتحت ستار المعرفة النزيهة البعيدة عن التحيز والتعصب))(١).

ومن أعظم ما منيت به مناهج التعليم التنصيري: تشويه التاريخ الإسلامي، والعمل على إضعاف اللغة العربية، بل ومحاربتها إن استطاعوا إلى ذلك سبيلا، وقد استعرض المؤلفان خالدي وفروخ بعض آراء المنصرين في الكتب التي يقررونها في مدارسهم، واقتبسا منها نصوصًا زيلوها بأرقام الصفحات، هذه النصوص لم تترك نقيصة إلا وألصقتها بالنبي ﷺ، وخلاصة ما تدور حوله هذه الكتب: أن القرآن الكريم من وضع الراهب بحيرى، وأن الإسلام قد انتشر بحد السيف، وأن الفتح الذي قام به العرب المسلمون إنما كان توسعًا عربيًّا لا امتدادًا إسلاميًّا، وغير ذلك من وجوه الطعن والتشكيك(٢).

وهكذا كانت مناهج التعليم التنصيري لا تهتم بالناحية الوطنية للبلاد، بل هي على العكس تحاول أن تنتزع الدارس من وطنه وتربطه بالغرب المسيحي، وتبعده عن الإسلام بقدر ما تقربه من النصرانية، وتحببه في حضارة الغرب بقدر ما تبغِّضه في حضارة الشرق، وذلك من خلال محاولة

(١) أجنحة المكر للميداني، ص ٨١.

(٢) راجع: التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ٧٢ وما بعدها، ومن أراد المزيد فليراجع: أجنحة المكر للميداني، ص ٨٢ وما بعدها.

فرض ثقافة الغرب وتاريخه وبطولاته ولغته، وإقصاء لغة العرب والمسلمين وتاريخهم، وإثارة الشبهات حولها وانتقاصها، ولذلك وجدنا معظم خريجي هذه المدارس لا يعرفون عن تاريخ بلادهم شيئًا في الوقت الذي يعرفون فيه تفاصيل كاملة عن تاريخ وعظمة الدولة التي تتبعها هذه المدارس.

## المطلب الثاني: الاستعانة بمعلمين أكفاء علمياً وروحياًّ:

إذا كان إعداد المناهج من الأهمية بمكان في مؤسسات التعليم التنصيري، فما من شك في أن اختيار المعلم أكثر أهمية، فهو أداة توصيل المنهج، ومالم تكن أداة التوصيل جيدة، فلا قيمة للمنهج، ولا يمكن للأهداف أن تتحقق، والمدرس هو أداة الاتصال بالطلاب، فهو يعتبر الوسيلة الفعالة في بث ما يراد من أفكار، ومن هنا كان المعلم هو أخطر ركن من أركان العملية التعليمية، ((وأي تعليم يهتم بتحقيق سياسة تعليمية معينة، فإن عليه أن يختار المعلمين بعناية فائقة، أو يعدُّهم إعدادًا مناسبًا لتحقيق هذه السياسة، وعليه بعد ذلك أن يضعهم تحت الملاحظة الدقيقة ليعلم مدى أهليتهم ومدى صدقهم))(١)، وتتلخص خطتهم في اختيار المعلمين وتأهيلهم في الخطوات التالية:

١- **إعطاء الأولوية للمعلم المسيحي:** فهو الشخص المؤهل لأداء المهمة؛ كونه يؤمن بأهداف التعليم التنصيري، ويسعى جهده لتحقيقها فيما يقوم به من أعمال تعليمية وتربوية، وليس أي مسيحي، ولكنه المسيحي الذي يحمل رسالة التبشير بالمسيحية على عاتقه، وهو ما نص عليه المبشر "هـ. دانبي" أنه لا يكفي في مدارس التبشير أن يكون المعلم مسيحيًّا فحسب، بل يجب عليه أن يكون مسيحيًّا من كل قلبه، وأن يطبق الحياة المسيحية على المبادئ الاجتماعية والسياسية والدولية، ويتخوف "دانبي" من تأثير المعلم المسلم على الطلاب، لا سيما إذا كان متميزًا من الناحية العلمية والخُلُقية، فيقول: ((ثم يتسع الشك على كل حال حينما نأتي إلى استخدام معلم غير مسيحي ليعلّم موضوعات لا نجد لتعليمها معلمًا مسيحيًّا. أجل، إن البراعة في التعليم لا صلة لها بدين المعلم، ومما لا ريب فيه أن معلمًا مسلمًا ذا خبرة بمهنته وذا كفاية يمكن أن يكون له من الجانب الشخصي وقوة الخلق ما يجعل منه معلمًا يبعث الحياة في طلابه، أو مربيًا صالحًا، ثم هو يمكن أن يؤثر في طلابه أكثر من المعلم المسيحي المجرد من الصفات التي يتصف بها ذلك المعلم المسلم، ولكن إذا

---

(١) غزو الصميم للميداني، ص ٦٣ باختصار يسير.

كانت الغاية من التعليم في المدارس المسيحية – كما يجب أن تكون – إنما هي تزويد الطلاب باستشراف مسيحي للحياة، وتمرين لهم على ممارسة المبادئ المسيحية، فكيف يمكن للمسلم الأمين أن يعاوننا على بلوغ هذه الغاية؟! ثم إذا كان هو يعتقد بهذه الغاية لأنه ضعيف الشخصية خنوع، ولكنه لا يخطو خطوة ليصبح مسيحيًّا، أفلا يكون له حينئذ على تلاميذه تأثير سلبي، فيستنتجون من سلوكه أن الدين ليس موضوعًا ذا أهمية حاسمة؟»(١)، ويخلص "دانبي" إلى أن للمدارس المسيحية رسالة تؤديها، ولا يصلح لتأدية هذه الرسالة سوى المعلم المسيحي، ويفضل أن يكون أجنبيًّا، فإذا دعت الحاجة إلى معلم وطني فليكن نصرانيًّا صحيحًا في نصرانيته، وأن يكون متمرنًا على التبشير، وهو ما طبقته الجامعة الأمريكية في القاهرة وبيروت، إذ أن غالبية من تعهدوها من قبل أو عملوا فيها كانوا مبشرين، ولا تزال جميع المدارس الأجنبية تسير على سياسة الاستغناء عن المعلم المسلم ما أمكن، وأما مدارس الفرير واليسوعية فلا يمكن أن يُعلِّم فيها مسلم أبدًا(٢).

٢- **الاستعانة بالمعلم المسلم عند الضرورة القصوى:** فقد كانوا يضطرون أحيانًا للقبول بمعلم مسلم، لا سيما إذا كانت المدرسة فيها أبناء مسلمين، والدولة تفرض عليهم الالتزام بالمناهج الرسمية، فمَن يدرس لتلاميذ المسلمين مادة التربية الإسلامية سوى معلم مسلم؟ في مثل هذه الحالات ونحوها كانت تضطر مؤسسات التعليم التنصيري للاستعانة بمعلم مسلم، وتضع لذلك ضوابط صارمة منها:

أ- قبول بعض المعلمين المسلمين بغرض التمويه وإخفاء التعصب ضدهم، والاستفادة منهم في تشجيع أبناء المدن الداخلية على الدخول في الجامعة، وقد حدث ذلك في بيروت والقدس ونابلس وحلب وحماة ودمشق(٣).

ب- اختيارهم مسلمين بالاسم لا بالانتساب العقدي والسلوكي، فإن لم يتيسر لهم ذلك انتقوا أضعف المدرسين المسلمين علمًا وشخصيةً وتدريسًا، حتى يعطي تأثيرًا عكسيًّا يخدم به – وهو لا

---

(١) أجنحة المكر للميداني، ص ٧٨، ٧٩ باختصار.

(٢)التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ٧١.

(٣)المرجع السابق، ص ٧١.

يشعر – أهداف المؤسسة التنصيرية(١)، ولا يكتفون بذلك، بل يحرصون على أن تكون تحركات ومحاضرات المعلم المسلم تحت رقابة شديدة.

ج- التمييز في المعاملة بينهم وبين المعلمين المسيحيين، وهو ما حدث في الجامعة الأمريكية في بيروت، فقد كانت الجامعة تفرق في المعاملة بين المعلمين المسلمين والمعلمين الأمريكيين، بل والوطنيين من غير المسلمين. يقول د. الخالدي: ((ولا حاجة بنا إلى القول بأن هؤلاء المدرسين لم يكونوا يعاملون من حيث الراتب والرتبة كالمدرسين الأمريكيين، ولا كالمدرسين الوطنيين من غير المسلمين أيضًا، ولقد لقي بعض هؤلاء المدرسين المسلمين من الجامعة الأمريكية عنتًا شديدًا))(٢).

**٣- إعداد المعلمين والعمل على رفع كفاءتهم باستمرار:** فقد وجهوا عناية فائقة لانتقاء وتأهيل المعلمين للقيام بمهامهم؛ إيمانًا منهم بأن المعلم يمثل الركيزة الهامة لنجاح التعليم التنصيري، ولذا فقد كان إعداد المعلمين من أهم وأخطر القضايا التي ناقشها مؤتمر "لكنو"، فقد شدَّد المؤتمرون بلزوم التدقيق التام في انتقاء المعلمين الأكفاء الممتازين بصفاتهم ومواهبهم العقلية(٣)، وسرعان ما تم إنشاء المدارس لتخريج المعلمين، وكان أهم ما ميَّزَ الجامعة الأمريكية في بيروت وجعلها بارزة بين جميع المدارس الأمريكية: أنها هي التي تهيء المدرسين المبشرين للمدارس الأمريكية المنثورة في الشرق الأدنى كله(٤).

وهم لا يكلَّفون بمهمة التعليم في مدارس التنصير إلا بعد أن يستكملوا عدة أشياء من أهمها: إتقان اللغة العربية واللهجات المحلية؛ لأنها أدوات تمكن المعلم من الاحتكاك بالأطفال، والاتصال بالسكان، والدعوة إلى المسيحية بلغة أهل البلاد، والاضطلاع بعلم الأديان وخاصة الدين الإسلامي، ويشترطون في ذلك دراسة بعض ما كتبه أشد المستشرقين تعصبًا وحقدًا على الإسلام والمسلمين(٥).

(١)راجع: غزو في الصميم للميداني، ص ٦٧.

(٢)التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص٧١ باختصار.

(٣)الغارة على العالم الإسلامي، ص ٢٠٢، ٢٠٣.

(٤)التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ ، ص ٨٠، ٩٩.

(٥)التعليم التبشيري في الجزائر: وعلي محمد الطاهر، ص ٧٨، ٧٩، وراجع: التنصير في الخليج العربي: د. عبدالعزيز العسكر، ص ٤٨.

**والحاصل:** أن المؤسسات التنصيرية حتى تضمن تنفيذ أهدافها أوجبت بأن لا يدرس في مدارسها إلا من كان نصرانيًّا أولًا، ثم من الذين يعملون في مؤسساتهم التنصيرية من أبناء المسلمين – الذين تم استقطابهم بعد إغرائهم – ثانيًا، ومَن أقسموا يمينًا على أن يكونوا منصرين قبل أن يكونوا معلمين ثالثًا.

## المطلب الثالث: تهيئة البيئة التعليمية التي تساعد على التنصير:

قد يُفرَض على مدارس التنصير أن تتقيد بالمناهج الرسمية للبلاد، وهنا يلجأ المنصرون إلى أمور أخرى تدخل ضمن العملية التعليمية ولا تُفرض عليها قيود، يستطيعون من خلالها تحقيق أهدافهم، ومن هذه الأمور: البيئة التعليمية، ويقصد بها: ((توفير الأجواء المناسبة والمناخ الملائم الجذاب لتغذية أفكار الطلبة ونفوسهم بما يدعم أهداف السياسة التعليمية، وتدريبهم عمليًّا وبصورة تدريجية على السلوك الملائم لهذه الأهداف والمنسجم معها، وتبدأ البيئة التعليمية من باب السور الخارجي للمؤسسة التعليمية، وتستمر حتى آخر موقع قدم فيها، وتشمل البيئة التعليمية ما يكون في مواقعها من توجيه مباشر أو غير مباشر، وأنظمة الحضور ضمن هذه المواقع))(١)، كما تشتمل البيئة التعليمية على كافة الأنشطة اللامنهجية التي تُنفذ للطلبة، ويقصد بها: ما تقوم به المؤسسة التعليمية من أنشطة مختلفة، مناسبة لأعمار الطلبة وإمكاناتهم، يمارسونها خارج حدود الفصول، وسميت "لامنهجية" لأنها تقع خارج نطاق المناهج الدراسية المقننة، ويقال لها: "لاصفِّيَّة" أيضًا لأنها تقع خارج حدود الفصول المدرسية المعروفة(٢).

ويهدف القائمون على مؤسسات التعليم التنصيري من خلال البيئة التعليمية والأنشطة اللامنهجية إلى هدف رئيسي هو: ربط الطلاب بالكنيسة وأنشطتها الدينية، ويظهر ذلك من خلال عدة أمور منها:

١- **بناء كنيسة إلى جانب كل مدرسة:** وتبدأ الخطة ببناء مدرسة مسيحية في أحد أقطار الإسلام، وبحجة توسيع المدرسة يتم شراء ما حولها من أرض أو مساكن بأي وسيلة، ويقام سور

---

(١)راجع: غزو في الصميم للميداني، ص ٧٧ وما بعدها بتصرف.

(٢)قضايا تربوية من الميدان: هيثم بن إبراهيم الرغبان، ص ١٥٥ وما بعدها، مكتبة الملك فهد الوطنية، سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

كبير حول المدرسة والأرض المشتراة، وفي فناء المدرسة تُشيد الكنيسة، فيجد التلميذ المدرسة تلاصق الكنيسة، فيتعود على رؤية هذا المنظر، وتنطبع في ذهنه هذه الصورة(١)، ويترسخ في وجدانه أن الكنيسة والمدرسة شيء واحد، وهو ما أكد عليه المبشر "فكتور موراي" فقال: ((كانت المدرسة بمثابة الكنيسة في المقاصد وفي الأغراض، وإن الاثنتين شيء واحد، وإن المدرس في مدرسة القرية هو نفسه المبشر في تلك القرية))(٢)، وهو ما كان يحدث في مصر، فقد كان إنشاء الكنائس يسير جنبًا إلى جنب المدارس الأجنبية دائمًا، وفي أغلب الأحيان كان يضمهما مبنى واحد(٣)، حيث كانت تحرص الإرساليات أولًا وقبل كل شيء على إنشاء الكنيسة، ثم قيام المدرسة فيها وتابعة لها، ويتولى رجال الدين فيها مهمة التدريس والتوجيه (التنصير).

٢- **حث الطلاب على دخول الكنيسة وحضور الأنشطة الدينية:** فقد سعى المنصرون إلى ربط الطلاب بالكنيسة بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة، وليس أدل على ذلك من وجود الكنيسة أمام ناظري الطالب، الأمر الذي يدفعه إلى الذهاب للمشاركة في أنشطة الكنيسة مجاملة لأساتذته المسيحيين، أو حتى من باب الفضول والرغبة في الاطلاع على كل ما هو جديد، ويتكرر الأمر حتى يتحول داخل الطالب أو الطالبة إلى صراع بين ما يعتقده وما يراه، ينتهي بالدخول في النصرانية أو النزوع إلى الإلحاد إن لم تتداركه عناية الله وانتباه أولياء الأمر.

في مارس ١٩٣٢م نشرت الصحف حادثة بنات أحمد علي علوبة "المحامي المعروف بأسيوط"، وكان قد ألحق بناته بإحدى مدارس الإرساليات في أسيوط، وقد لاحظ عليهن قلقًا وارتباكًا، أدى إلى حالة عصبية جعلت الكبرى منهن تبكي بمرارة، حين سألها والدُها عما بها، وبعد إلحاحٍ منه قالت: إنها لكثرة ما تسمع عن الدين المسيحي، ولما يُشار به من عبارات موجزة، ومن طرف خفي تشعر وهي مسلمة صالحة تحب الإسلام ورسوله بشيءٍ من تزعزع العقيدة، وهذا الأمر هو الذي يدعوها لذلك الذي تعاني منه، وهو الألم والحزن، فإن الصلاة التي يؤديها الطلبة كل يوم، وما يشعرون به

---

(١)التبشير في العالم الإسلامي "أهدافه وآثاره": محمد زين العابدين الطشو، ص ١٠٧، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة الأزهر ١٤٠٧/ ١٩٨٧م.

(٢)التبشير والاستعمار في نيجيريا: خضر النيجيري، ص ١٤٤.

(٣)الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر: د. خالد نعيم، ص ٤٩.

من عطف الأساتذة والمعلمات، تجعلهم يميلون إلى دينٍ ينافس في قلوبهم وأفئدتهم دين آبائهم وأجدادهم، ويورثهم هذا القلق، وينتهي هذا التطاحن بين العقيدتين آخر الأمر إلى إسكات الضمير الديني إسكاتًا هو الإلحاد والشك، وينتهي بهم إلى الرغبة عن دينهم إلى دين معلميهم وأساتذتهم، وقد كتب أحمد علوبة إلى المدرسة الملحقة بها بناته، مراعاة العاطفة الدينية للطالبات قائلًا: لا تجبروا كريماتي وهن مسلمات على حضور الصلاة في كنيسة المدرسة، وعلى حفظ الإنجيل، وحضور الاجتماعات التي تبحث في الأمور الدينية، وقد أرسلت إليه ناظرة المدرسة خطابًا مسجلًا تقول فيه: أنها تأسف لعدم إمكانية إجابة طلبه؛ لأنه مخالف للقواعد التي وضعتها الإرسالية لجميع مدارسها، وليس في مدرسة واحدة أن تسير على غير ما هو متَّبع في غيرها، وكانت النتيجة أن سحب الرجل بناته من المدرسة(١).

وإن المرء ليعجب من وضوح هؤلاء الناس وصراحتهم وإصرارهم على هدفهم التنصيري، ومع ذلك تجد بعض أولياء الأمور من المسلمين يدفع بأبنائه وبناته إلى هذه المدارس، ويجادل ويشكك في الهدف التنصيري لها، ويبرر ما فعله بأن هذه المدرسة تقدم تعليمًا متميزًا، متجاهلًا أثر هذه المدارس على عقيدة أولاده وقيمهم وأخلاقهم، ثم يفاجأ بعد ذلك بما يعجز عن تداركه!!.

ولم تكتف مؤسسات التعليم التنصيري بالحث والترغيب، فكانت تجبر طلابها على دخول الكنيسة يوميًّا، وعلى الاستماع إلى دروس التوراة والإنجيل حتى ولو كانوا مسلمين، ففي الجامعة الأمريكية في بيروت كان على جميع الطلاب أن يحضروا قداس الوعظ يوم الأحد، وسائر الاجتماعات الدينية، وكان الدخول إلى الكنيسة فرضًا على كل طالب، وحدث في عام ١٩٠٩م أن احتج طلاب الجامعة من المسلمين على إجبارهم على دخول الكنيسة، فأصدرت إدارة الجامعة منشورًا جاء فيه: ((إن هذه كلية مسيحية، أُسست بأموال شعب مسيحي، هم اشتروا الأرض، وهم أقاموا الأبنية، ولا يمكن للمؤسسة أن تستمر إذا لم يسندها هؤلاء، وكل هذا قد فعله هؤلاء ليوجدوا تعليمًا يكون الإنجيل من مواده، فتعرض منافع الدين المسيحي على كل تلميذ، وإن كل طالب يدخل إلى مؤسستنا يجب أن يعرف مسبقًا ماذا يطلب منه))، وأعلنت إدارة الجامعة بوضوح أن الجامعة لم تؤسس للتعليم

---

(١)المرجع السابق، ص ٢٢٧.

العلماني، ولا لبثّ الأخلاق الحميدة، ولكن من أولى غاياتها أن تعلم الحقائق الكبرى التي في التوراة، وأن يكون مركزًا للنور المسيحي وللتأثير المسيحي، وأن تخرج بذلك على الناس وتوصيهم به(١)، وفي الجامعة الأمريكية في القاهرة اعترف عميد الجامعة سنة ١٩٢٠م بأن التبشير يتم بين الطلاب المسلمين، وأنه كان يشترط حضورهم الكنيسة، وفصول دراسة الكتاب المقدس لمدة أسبوعين شهريًّا(٢).

وفي الجزائر كان واجبًا على التلاميذ حضور قداس يوم الأحد، والمشاركة في جلسات الصلوات التي كانت تسبق بداية الدروس، بالإضافة إلى الاهتمام بالجانب الشكلي عن طريق نشر صور وتماثيل للعذراء والسيد المسيح والقديسين لتصبح مألوفة في أذهان الطلاب، والانضباط داخل هذه المدارس يخضع إلى الطقوس الدينية كالتراتيل والأناشيد والموسيقى لإدماج الطلاب روحيًّا ونفسيًّا، كما قاموا بتنظيم رحلات للطلبة تحت غطاء المخيمات الصيفية، هدفها انتزاع القيم الدينية الإسلامية من الطلبة، وتضييع وقتهم في المعسكرات وفي اللهو والعبث، وإبعادهم عن إقامة الشعائر الإسلامية(٣)، وفي المدارس التنصيرية في السودان كان التلاميذ المسلمين يُجبَرون على قراءة الإنجيل وحضور دروس الديانة المسيحية(٤)، وفي كينيا يُفرَض على الطلاب حضور ومتابعة دروس الإنجيل، والاشتراك في القُدَّاسَات والطقوس الكنسية، ولا يُسمَح للطلبة بأداء صلاة الجمعة والعصر حيث الدروس مستمرة(٥)، ومثل ذلك وأشد منه حدث في إندونيسيا وسوريا والفلبين، وغيرها.

ومما سبق يتبين أن دخول الكنيسة والمشاركة في أنشطتها كان هدفًا تسعى إليه كافة مؤسسات التعليم التنصيري، ويا ليتهم اكتفوا بذلك، بل منعوا الطلاب من ممارسة شعائرهم الدينية، وذلك بالحيلولة دون حضور صلاتي الجمعة والعصر، وتعمد الدراسة في ذلك الوقت، وتهديد الطالب بالفصل من الدراسة إن هو أصر على الحضور، ولا يخفى أن تعمد الدراسة وقت صلاة الجمعة

---

(١) التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ١٠٥، ١٠٦.

(٢) الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر: د. خالد نعيم، ص ٢٢٥.

(٣) أساليب ووسائل التنصير في المؤسسات التعليمية الجزائرية: د. جمال حواوسة، ص ٣٥٧.

(٤) أحقاد وأطماع التبشير في أفريقيا المسلمة: د. عماد الدين خليل، ص ٤٦، المختار الإسلامي، القاهرة، الثانية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(٥)الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا: د. عمر سالم بابكور، ص ٣١٨.

تحديدًا مقصود لذاته، وذلك لحرمان الطالب من حضور خطبة الجمعة والاستماع إلى الموعظة في الوقت الذي يشارك فيه في أنشطة الكنيسة ويحضر دروسها رغبًا أو رهبًا.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل وصلت الأمور – أحيانًا – إلى ربط تقييم الطلاب علميًّا بمدى الاستجابة للأنشطة التنصيرية، ففي عام ١٨٩٥م أسست الجامعة الأمريكية في بيروت فرعًا لجمعية الشبان المسيحيين، وأطلقت عليه "جمعية الأخوية"، ومع أن الدخول في هذه الجمعية كان اختياريًّا لجميع الطلاب، فإن أساتذة الجامعة كانوا كثيرًا ما ينحدرون إلى مستوى يعطفون فيه على الطلاب المتأخرين في التحصيل إذا كانوا أعضاء في هذه الأخوية، وقد عايش ذلك د. عمر فروخ وشاهده بنفسه فقال: وكان كل طالب لا يزال يشعر بهذا الشعور، ولقد اصطدمتُ أنا بعقبات كثيرة ذللتُها بجهد شخصي، ولو أنني كنتُ أحضر الصلوات في الكنيسة، أو أنني كنتُ عضوًا في "الأخوية" لوفرتُ على نفسي كثيرًا(١)، وهو تصرف غير أخلاقي ولا يمتُّ إلى التقييم العلمي الموضوعي بصلة، فهو يسوق الطلاب سوقًا إلى حضور الأنشطة الدينية، ويفرق بينهم في المعاملة على أساس مدى استجابتهم لهذه الأنشطة والتفاعل معها.

٣– **تهيئة الطالب لتبني فلسفة مسيحية للحياة:** وذلك بأن يتشرب الطلاب الأفكار المسيحية بالتدريج، حتى يعاد تشكيل عقولهم وفقًا لهذه الأفكار، وذلك ما عبر عنه المبشر "دانبي" وهو يتحدث عن المدارس المسيحية، فذكر أنها ((تهيئ للطالب جوًّا مسيحيًّا، وتحمله فيه على ممارسة التقوى المسيحية والسلوك المسيحي، وهكذا ينشأ الطالب وتنشأ معه فلسفة مسيحية للحياة))(٢)، فالهدف هو تهيئة الأجواء للطالب ليكون نصرانيًّا أو يفكر بتفكير النصارى، وهو ما عبر عنه بعضهم بـ "التربية النصرانية"، تلك التربية التي يتشارك فيها المنهج الدراسي، والمعلم، والبيئة التعليمية والأنشطة اللامنهجية، والكنيسة بطقوسها اليومية، والهدية التي يفرح بها الطفل، والأنشودة التي يتغنى بها، فكل هذه الأشياء ونحوها تتشارك في غرس قيم تنصيرية وإزاحة أو خلخلة قيم إسلامية، ففي كوسوفا كانوا

---

(١)التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ٩٧، ٩٨.

(٢)التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ٦٧، ٦٨.

يعطون للأطفال الهدايا وبداخلها الصليب(١)، والهدف: أن يألف الأطفال شكل الصليب ويعتادوا رؤيته، ولأجل ذلك يتم تقديمه إليهم بطريقة محببة وداخل هدية، وفي أم درمان يُلقَّن الأطفال المسلمين من سن ٦ – ٧ سنوات أناشيد مسيحية في روضة أطفال تنصيرية، هذه الأناشيد ترسخ في أذهان الناشئة عقائد النصارى(٢).

وداخل مؤسسات التعليم التنصيري يتوافر النشاط الفني الذي حرصت هذه المدارس على أن يكون متوفرًا ومتنوعًا ومتعددًا (التمثيل، والغناء، والأناشيد، والصلوات،..)، والنتيجة الحتمية لهذا الكم الهائل من الأنشطة التي تحيط بالطلاب أن تهيء لهم بيئة تعليمية تساعد على التنصير، وهو ما عبر عنه أحدهم بقوله: ((كان التعليم وسيلة قيمة إلى طبع معرفة تتعلق بالعقيدة المسيحية والعبادة المسيحية في نفوس الطلاب))(٣)، وبقدر ما يقترب الطالب من الأجواء المسيحية ويألفها بقدر ما يبتعد عن الأجواء الإسلامية وينفر منها، ويفاجئ الناس بأن خريجي هذه المدارس لا يعرفون أبسط مبادئ الإسلام.

## المطلب الرابع: تقديم الخدمات التعليمية المتميزة:

حرص المنصرون على تقديم خدمات تعليمية متميزة، وكان الهدف من ذلك جذب أكبر عدد ممكن من الطلبة، وإثبات تفوق مؤسسات التعليم التنصيري على غيرها من المؤسسات التعليمية، لا سيما الحكومية، وعمد القائمون على مؤسسات التعليم التنصيري إلى بث الدعايات والمبالغة في الترويج لتلك المؤسسات، وذلك لإعطاء شهرة لتلك المدارس والجامعات التي أصبحت موضع تفاخر بين الآباء المسلمين؛ كون أبنائهم يدرسون فيها، وقد تمثلت تلك الخدمات التعليمية في أمور كثيرة، منها:

١ – **الاهتمام بمنشآت التعليم التنصيري:** فقد حرص المنصرون على أن تكون منشآت التعليم التنصيري في موقع جغرافي ممتاز من البلاد، وأن تكون مزودة بأثاث في غاية الجودة والأناقة،

(١)الأديان والحركات التبشيرية في كوسوفا: فهيم جعفر دراغوشا، ص ١٠١، بحث ماجستير (غير منشور)، جامعة بروناي، دار السلام، سنة ٢٠٠٨م.

(٢)التنصير في منطقة جبال النوبا: نور الدين بابكر، ص ٢٠٢.

(٣)أضواء على التبشير والمبشرين: د. سلمان عبدالمالك، ص ٥٣.

والمباني على أحدث طراز، وذلك لما للمبنى وفخامة الأثاث من تأثير وإجلال في نفوس رواد هذه المؤسسات من الطلبة وغيرهم، لا سيما حينما يعقدون مقارنة بينها وبين المدارس والجامعات الحكومية. يقول أ. إبراهيم خليل أحمد: ((ولهذه المؤسسات سياسة جغرافية رشيدة تهدف إلى تحقيق العمل التبشيري، فالمدرسة ينبغي أن تكون في دائرة شعبية، وكل الطرق تؤدي إليها دون مشقة أو عناء، ولنأخذ للكليات مثلا الجامعة الأمريكية، فهي في منطقة عمرانية في قلب القاهرة، وكل الطرق توصل إليها، وكذا كلية أسيوط الأمريكية تقوم في منطقة آهلة بالسكان))(١)، ومن يرى الجامعة الأمريكية اليوم يجدها مستعمرة تحتل أجمل وأخطر مكان في بيروت، وقيمتها لا تقدر بمال(٢).

٢- **توجيه العناية الفائقة للمظهر العام:** فلقد أعطيت هذه المدارس من الإمكانات ما جعلها تنافس أرقى المؤسسات التعليمية، فأساتذتها على درجة عالية من الكفاءة، وتطبق في إدارتها أحدث النظم التربوية والإدارية، والتزام الطلاب بالسلوك والآداب الاجتماعية يشد انتباه المتعاملين معهم، وكل هذا بهدف جذب أنظار المسلمين إلى هذه المؤسسات والدفع بأبنائهم إليها، ((فهي توجه عناية كبيرة للشكليات والمظاهر، وللترتيبات النظامية الدقيقة؛ لتكون بمثابة ستارة تجذب النفوس والحواس، وترضي الأذواق الجمالية، وتقنع بإتقان العمل. ومن أمثلة ذلك: الاهتمام بنظام اللباس، ونظام الحضور، ونظام الدخول والخروج، ونظام تحية المدرس عند دخوله وخروجه، ونظام الطعام والنوم واليقظة والنظافة في مدارسهم الداخلية، ونظام المطالعة لحفظ الدروس والقيام بالواجبات المدرسية، ونظام خطاب المعلم باستئذان واحترام، ونظام مصنفات الطلاب وأحوالهم الصحية والاجتماعية، وغير ذلك من أنظمة تربوية كثيرة حسنة))(٣)، والإسلام لا يمانع في الأخذ بهذه النظم التربوية والإدارية شريطة أن يكون ذلك بغرض النهوض بالعملية التعليمية، وليس لأغراض أخري تنصيرية ونحوها.

٣- **العمل على تقديم مستوى تعليمي متميز:** فقد كان هدف تلك المؤسسات تنصيريًّا بالأساس، وذلك دون أن تقلل من اهتمامها بالتعليم، باعتباره واجهة تخفي وراءه هدفها الخطير، ففي

---

(١) المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي: أ. إبراهيم خليل أحمد، ص ٥٤، ٥٥، بتصرف يسير.

(٢) جذور البلاء: عبدالله التل، ص ٢٢٣.

(٣)غزو في الصميم للميداني، ص ٩٧ بتصرف يسير.

أفريقيا اضطلعت مدارس التنصير بمهمة تعليم اللغة الإنجليزية كمادة أساسية، وأشادت "لجنة التعليم الأفريقي" بالتنظيم الذي أدخلته الإرساليات للتعليم الوطني، وجاء في تقرير اللجنة ما يلي: ((مع أن هذه الإرساليات قد أحرزت نجاحًا ملحوظًا، إلا أنه يجب أن يكون مفهومًا تمامًا أن ما قامت به لم يكن إلا بداية في عمل التنصير))(١)، فهو نجاح تعليمي جرى توظيفه في عملية التنصير.

وهو ذات النجاح الذي تحقق لنظام التعليم الأمريكي في الشام، وساعدهم على ذلك ضعف النظام التعليمي هناك، والمقارنات التي كان يعقدها المواطنون بين المدارس التابعة للإرسالية الأمريكية والتعليم الموجود عند الآخرين، بما فيه التعليم الأهلي، وغالبًا ما تكون المقارنة في صالح التعليم الأمريكي، ومما ساعد على تقدم التعليم الأمريكي: ما كان يقوم به المبشرون الأمريكيون من زيارات للمدارس الوطنية والكتاتيب، للوقوف على ما فيها من مساوئ وعيوب لمحاولة تجنبها(٢).

ولم يترك المنصرون وسيلة لتقديم مستوى تعليمي متميز إلا واستخدموها، بل ووظفوها لخدمة التنصير، ومن ذلك: استخدام وسائل الإيضاح التعليمية، فدورها يتعدى إيصال المعلومة إلى درجة تثبيت تلك المعلومة وترسيخها في أذهان سامعيها، ويستفاد منها في مجال "التعليم التنصيري" من عدة نواحٍ منها: ((علاج قلة عدد المنصرين المؤهلين، والوصول إلى المجتمعات التي لا يمكن الوصول إليها، والبعد عن الرقابة في البلاد ذات الحساسية تجاه التنصير والمنصرين))(٣)، وهو ما أشار إليه "زويمر" بقوله: ((إن المحاضرات التي يلقيها القسس المبشرون على الحاضرين من المسلمين أثناء تمثيل حوادث التوراة بالفانوس السحري والخرائط الإحصائية عن ارتقاء ممالك النصرانية وانحطاط ممالك الإسلام، كل ذلك تتمة لوسائل التعليم البروتستانتي))، ويحكي أنه جمع تلاميذه المسلمين مرة، ووضع بين أيديهم كرة تمثل الكرة الأرضية، ثم حول عليها نورًا قويًّا، وبرهن لهم بذلك على أن الأمر بصيام شهر رمضان ليس آتيًا من عند الله؛ لأنه يتعذر أداء هذه الفريضة في بعض البلاد(٤).

---

(١)الإسلام والتحدي التنصيري: عمر بابكور، ص ٣٣٦.

(٢)التنصير الأمريكي في بلاد الشام: د. عبدالرازق عبدالرازق عيسى، ص ١١٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، الأولى ٢٠٠٥م.

(٣)مؤتمر كولورادو التنصيري "دراسة تحليلية": جمعان بن علي الزهراني، ص ٢٦٢، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، سنة ١٤٢٠هـ.

(٤)الغارة على العالم الإسلامي، ص ٩٧، ٩٨.

ولم تبخل الحكومات الغربية على مؤسسات التعليم التنصيري بالنفقة والدعم، ففي سنة ١٩٨٥م قدم "مجلس الكنائس العالمي" مبلغ مليون دولار لما وُصِف بأنه (برنامج الخدمات التابع للكنيسة القبطية الأرثوذكسية)، وهذا المجلس يعمد إلى ضخ الأموال إلى منطقة الشرق الإسلامي لتبني مشروعات ضخمة، وأخرى صغيرة ((ذُكِر أن أحدها كان يتضمن شراء سيارةٍ لنقل التلاميذ في إحدى مدارس الحضانة بمدينة بور سعيد))(١)، فانظر إلى أي مدى كان الاهتمام بالتفاصيل الصغيرة، والتي تعنى بتقديم خدمة تعليمية متميزة، والغرض من ذلك اجتذاب أكبر عدد من التلاميذ واصطياد أكبر عدد من الضحايا.

وقد حققت تلك الخدمات التعليمية نجاحات ملحوظة، فقد أدى ذلك إلى تسابق المترفين من المسلمين إلى المدارس الأجنبية، حيث ((فتن المترفون من المسلمين بمظاهر العناية التعليمية والتربوية التي تقدمها المدارس الأجنبية والتبشيرية للتلاميذ الذين يتعلمون ويتربون فيها، وفتنوا بما فيها من تعليم جيد للتكلم باللغات الأجنبية، فصاروا يتسابقون إلى دفع أبنائهم وبناتهم إليها، ويبذلون لأصحابها الأجور الكبيرة، ثمن قبول أبنائهم تلاميذ فيها))(٢).

وكان مما ساعدهم على ذلك: إهمال العناية بالتعليم الوطني أو الحكومي، وهو ما يفتح أمام هيئات التنصير باب العمل واسعًا على استغلال حاجات الناس الملحة إلى تعليم أبنائهم تعليمًا متميزًا يلبي احتياجات سوق العمل، ويوفر للأبناء فرصًا متميزة في المستقبل، وهذه هي الثغرة التي ينفذ منها التعليم التنصيري ويعمل على اجتذاب المسلمين من خلالها، وقد نجح في ذلك إلى حدٍّ كبير، فالملاحظ أن هناك إقبال متزايد من أبناء المسلمين للالتحاق بهذه المدارس، وسبب ذلك يرجع إلى: الدعاية والسمعة التي صاحبت إنشاء هذه المدارس، فضلًا عن ذكاء القائمين عليها في التعامل مع أولياء الأمور وإشراكهم في العملية التعليمية، وذلك بإرسال التقارير الدورية لهم عن سير وسلوك أبنائهم وبناتهم، والإمكانات المادية الجيدة التي تفوق حجم المؤسسة، مما يدفع إلى الاعتقاد بأنها

---

(١) الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر: د. خالد نعيم، ص ١٩.

(٢) أجنحة المكر للميداني، ص ٧٩، ٨٠.

أفضل بكثير من المدارس الحكومية من حيث النظام ومستوى الخدمات ومستوى التعليم(١)، وهذه الأمور ونحوها هي التي تجعل بعض المسلمين يفضلون مدارس التنصير على غيرها من المدارس الحكومية أو الأهلية، ولو حرصت الحكومات العربية والإسلامية على تأمين الحد الأدنى من هذه الميزات في المدارس الوطنية لما وجد المنصرون سبيلًا لنفث سمومهم الفكرية في المجتمعات الإسلامية.

## المطلب الخامس: استغلال حالات الضعف الإنساني:

لقد تقدم المنصرون إلى الإنسانية بوجوه من فعل الخير، وذلك باستغلال آلام البشر تارة، كما فعلوا مع المرضى بتقديم العلاج الطبي لهم مقابل تنصيرهم، وباستغلال الضعف الإنساني تارة أخرى، كما هو الحال في "التعليم التنصيري"، حيث يستغل المنصرون حالات الضعف الإنساني، متسترين بستار التعليم، فتارة يستغلون ضعف الطفولة، وتارة يستغلون الضعف الناشئ عن الفقر والحاجة، والقاسم المشترك بين هذه الصور وغيرها هو العجز وقلة الحيلة، والضعف عام في بني البشر، فجنس الإنسان ضعيف كما قال الله تعالى: ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، غير أن هذه الفئات أضعف من غيرها، وسوف ألقي الضوء على بعض صور الضعف الإنساني التي استغلها المنصرون من خلال التعليم لتحقيق مآربهم التنصيرية على النحو التالي:

### أولًا: ضعف الطفولة:

استغل القائمون على التنصير براءة الأطفال وسذاجتهم، فاهتموا بمراحل التعليم الأولى التي تستهدف الناشئة وتغرس فيهم التعاليم النصرانية، وهو ما عبر عنه أحدهم بقوله: ((إن المدارس قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحي أكثر من كل قوة أخرى))(٢)، وهكذا باشرت مدارس التنصير التأثير على الطفولة البريئة، وعملت على إرضاع الأطفال مبادئ النصرانية، وتنادى المنصرون في مؤتمرات التنصير بضرورة العمل بين الصغار، وتواصوا بإدراك النشء الصغير من

---

(١) الخطر التبشيري في الكويت: أحمد بن عبدالعزيز الحصين، ص ٢٠٢، وراجع: المشروع التنصيري في السودان: د. حسن مكي، ص ١٧٥، ١٧٦.

(٢) التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ٦٧.

المسلمين قبل أن يتشربوا روح الإسلام ويشبوا على تعاليمه، وهو ما أكَّد عليه المبشر "جون موط" بقوله: ((يجب أن نؤكد في جميع ميادين التبشير جانب العمل بين الصغار، فهو عمدة عملنا في البلاد الإسلامية، وأن الأثر المفسد في الإسلام يبدأ باكرًا جدًّا، من أجل ذلك يجب أن يُحمَل الأطفال الصغار إلى المسيح قبل بلوغهم سن الرشد، وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية))(١)، وقد أرجع الباحثون اهتمامهم بالأطفال إلى أسباب كثيرة، من أهمها: ((سهولة التأثير على الأطفال، وتلقينهم مبادئ النصرانية؛ لكونهم لم يتشبعوا بعد بدين أجدادهم، فقلوبهم غضة، ونفوسهم بريئة، وعقولهم مستجيبة، والتأثير فيهم أعظم، والوصول إليهم أقرب، وبالتالي فهم يتأثرون بكل ما يلقى إليهم، فالنمو العقلي عندهم لم يصل إلى مستوى يمكنهم من أن يكتشفوا نوايا المبشرين التنصيرية))(٢)، وهكذا ضرب المنصرون بالتعليم عرض الحائط، ولم يحفظوا أمانة الصغار، بل اتخذوا من نفوسهم وعقولهم أوعية يصبون فيها سمومهم وأفكارهم، متجاهلين أن ((الأب الذي يأتمن على ابنه مدرسةً ما من المدارس يقدم أثمن ما لديه وهو يعتقد أنه وضع ابنه – وهو لا يزال ساذجًا بريئًا – بين يدي أنبل الناس، ولكن المعلم المبشر مخلوق قد نفرت من قلبه أجمل معاني الإنسانية. نحن نفهم أن يتعرض المبشر لرجلٍ ناضج ويحاول أن يستميله بضروب الاستمالات، كما يتعرض الشيوعي ونحوه إلى الناس ليقنعهم بصواب مذهبه، أما أن يتخذ رجلٌ أشرف ثوبٍ أسبغه الله على الإنسانية ليخادع به الأطفال، فهذا منتهى الكفران للأمانة التي علقت في رقاب البشر))(٣).

لما كانت سوريا خاضعة للانتداب الفرنسي كان التعليم التنصيري على أشده، ولما استقلت سوريا شرعت في التضييق على التعليم التنصيري، فاعترضت الدولة القائمة عليه والراعية له قائلةً: إن الحرية والديموقراطية يجب أن تكونا مكفولتين، وأن للإنسان الحق بنشر الدين الذي يريده، واعتناق المذهب الذي يرضاه، فكان الجواب العاقل والردّ المفحم يومذاك ما يلي: ((إن الجمهورية السورية لا تقيد حرية أحد في الدعوة إلى مذهب ديني، ولكنها ترى أن هذه الحرية يجب أن تتساوى بين الداعي

(١) المرجع السابق، ص ٦٨.

(٢) راجع: علم التبشير: مناهجه وتطبيقاته: د. إبراهيم عكاشة علي، ص ١٣٩، دراسة منشورة في مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، العدد الخامس، سنة ١٤١١هـ، والتبشير في العالم الإسلامي: محمد زين العابدين الطشو، ص ١١١.

(٣) التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ٧٦.

والمدعو، فلمبشر بروتستانتي مثلًا أن يناظر فقيهًا مسلمًا، ولرجل كاثوليكي أن يخاطب رجلًا مسلمًا، أما أن يُترَك الأطفال الأبرياء في صفوف المدارس الابتدائية تحت رحمة المبشرين فهذا يتنافى مع أبسط قواعد الحرية»(١)، ويتضح من خلال هذا الرد انتهازية التنصير واستغلاله لبراءة الأطفال في معركة غير متكافئة، كما ظهرت هذه الانتهازية من خلال الأساليب غير الأخلاقية التي كان يتعامل بها القائمون على التعليم التنصيري مع الأطفال ومنها:

١- **التودد إلى الأطفال وإظهار الحب لهم والعطف عليهم لاستمالتهم:** فهم يبالغون في ذلك ويحرصون على إظهاره طول الوقت، ففي الفلبين يقولون للأطفال: **لا خوف عليكم في هذه المدرسة؛ لأنكم بمنزلة أولادنا وأحفادنا**(٢)، ويجعل اليسوعيون الصفوف الدنيا في عهدة الراهبات(٣)، ومعلوم أن النساء هم الأقدر على التعامل مع الأطفال في هذه المرحلة العمرية، والأجدر بتلبية احتياجاتهم العاطفية والنفسية، وهو ما يجعل الأطفال يتعلقون بالراهبات تعلقًا يسهل معه تلقينهم الأفكار النصرانية، وما من شك في أن إظهار الحب للأطفال والمبالغة في العطف عليهم هو رسالة لأولياء الأمور أن يكونوا مطمئنين، لا سيما حينما يروا حب أبنائهم للمدرسة وتعلقهم بالقائمين عليها.

٢- **إعطائهم الهدايا تشجيعًا لهم لكي يستمروا في الدراسة:** فهم يستعملون أساليب متعددة لإغراء الأطفال بالقدوم إلى مدارسهم، ومنها: إعطائهم الحلوى، فإن حب الأطفال للحلوى قوي جدًّا، ولذلك عمدوا إلى توزيع الحلوى عليهم كلما ذهبوا إلى زيارة الأهالي، ومنها: إعطائهم النقود بشكل دائم ومتكرر(٤)، ففي دولة البوسنة المسلمة، يمنح المنصرون الجوائز للأطفال الذين يبدعون في رسم الصليب، كما يعلمون الأطفال الأناشيد النصرانية، ويوزعون عليهم الحلوى والشوكولاتة، ويقيمون لهم أعياد ميلادهم في حفلٍ مهيب طبقًا للأساليب النصرانية(٥).

---

(١) راجع: السابق، ص ١٦٢، ١٦٣.

(٢)التنصير في الفلبين "نشأته وخطره وكيفية مواجهته": أبو الخير تراسون، ص ٢٢٨، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٣)التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ٧٩.

(٤)راجع: السابق، ص ٧٩، ٨٠.

(٥)التنصير "مفهومه. جذوره. أهدافه. أنواعه. وسائله. صولاته": أكرم كساب، ص ٢٢٩، ٢٣٠.

يحكي مواطن كويتي يقول: كنتُ طالبًا في المدرسة الإنجليزية عام ١٩٧٠م، وكنتُ آنذاك في المرحلة الابتدائية، وكنا نحتفل كل عام بعيد الميلاد (الكريسمس)، وبينما كنا موجودين في الفصل إذ دخل علينا أحد المدرسين النصارى الذين كانوا يدرسوننا، وكانوا قد علقوا في الفصل صندوقًا يحتوي على الحلويات، قال لنا المدرس: أيها التلاميذ، توجهوا نحو محمد بالدعاء، واطلبوا منه ينزل عليكم الصندوق الذي يحتوي على الشوكولاتة والحلويات، وكنا نردد: يا محمد، أنزل علينا الصندوق، ثم قال لنا بعد ذلك: **توجهوا إلى المسيح بدعائكم**، فدعونا المسيح، فنزل الصندوق في الحال، وانتشرت الحلوى والشوكولاتة في أنحاء الفصل، وأخذنا نأكل منها ونحن نردد قائلين: شكرًا لك يا مسيح، وكان المدرس يردد على مسامعنا: شكرًا لك يا ابن الله!!

وقد كان لهذه التصرفات أثر كبير في نفوس الأطفال في الكويت، حتى لمس أولياء الأمور بأنفسهم ما وصل إليه التبشير في نفوس أبنائهم، مما جعل أحد الأطفال يقول لأمه ذات يوم: **لماذا نحن مسلمون؟ لماذا لا نكون مسيحيين؟!**، مما حدا بأمه أن تذهب بنفسها إلى تلك المدرسة، وتستقصي وتتأكد بنفسها بالنسبة لهذا الموضوع، ووجدت غير ذلك مخالفات كثيرة، أثبتتها في رسالة بعثت بها إلى الدعاة تستصرخهم لرفع الأذى عن أطفال المسلمين(١).

٣- **تكثيف الأنشطة المحببة إلى قلوبهم**: فقد استخدموا جميع الوسائط التي يحبها الأطفال وتترك أثرًا في نفوسهم، ومن ذلك: الأنشطة الكشفية للفتيان والفتيات، والمخيمات، والأندية الرياضية، وغيرها من الأشياء التي تحفز الأطفال على الذهاب إلى المدرسة، ففي الجزائر أقام المنصرون في فناء المدرسة ألعابًا رياضية وأراجيح، تكون في متناول جميع أطفال القرية يومي العطلة الأسبوعية للمنصرين في المدرسة (السبت والأحد)، ومما لا شك فيه أن فضول الأطفال سيدفعهم إلى المجيء إلى المدرسة إذا لم يكونوا يحضرون إليها في السابق، وكانوا يكثرون من الحفلات المدرسية لما لها من تأثير في نفوس الأطفال وفي حب المدرسة، حتى إن "الآباء البيض" كانوا ينظمون حفلًا في مدارسهم مساء كل يوم أربعاء، كما أن السنة الدراسية تختتم عندهم بحفل كبير أيضًا يتم فيه توزيع

---

(١)الخطر التبشيري الصليبي في الكويت: أحمد بن عبدالعزيز الحصين، ص ٢٩٢، ٢٩٣ باختصار.

الجوائز على التلاميذ، وفي الفلبين كانوا يفتتحون الدرس بالأناشيد المحببة إلى نفوس الأطفال(١)، ويتأثر الأطفال بهذه الأجواء، فإذا بالطفل المسلم يردد صلواتهم، ويترنم بتراتيلهم الكنسية من حيث لا يدري ولا يشعر.

**ثانيًا: ضعف الفقر:**

فقد عمدت إرساليات التنصير إلى التقاط أبناء الفقراء والمعوزين وفرضت تنصيرهم مقابل تعليمهم، وهو أسلوب غير أخلاقي يقوم على استغلال ذوي الفقر والحاجة، وسوقهم ولو بشكل إجباري إلى مدارس التنصير، ويتم هذا الاستغلال من خلال ما يُعرف بـ "التعليم المجاني"، ((فاليسوعيون وغيرهم يعتقدون أنه يجب أن يقوم إلى جانب كل مدرسة يدفع طلابها النفقات المدرسية مدرسة صغيرة للفقراء مجانية، لا لتعليمهم في الدرجة الأولى، بل لحفظ المظهر التبشيري باديًا للعيان، فالفقراء أكثر انقيادًا لقبول هذا المظهر من أندادهم من أبناء الأغنياء، ومن الأمثلة التي تدل على اهتمام المبشرين بالتعليم المجاني أن المدارس الفرنسية والروسية كانت تُعلِّم مجانًا، ثم تقدم الكتب والطعام واللباس أحيانًا بلا مقابل))(٢).

ولذا فقد كثف القائمون على التعليم التنصيري نشاطهم في مجاهل أفريقيا وغيرها من المناطق التي ينتشر فيها الفقر وتكثر المجاعات، فراحوا يغدقون الهبات المالية على التلاميذ، وهو نوع من الضغط واستغلال الفقر والعوز لتنفيذ المخطط التنصيري، ولو بوسائل غير مشروعة، وهكذا ((أتقن المبشرون الحيل فظهروا أمام ضعفاء العقول بمظهر رسل الرحمة، فأنشأوا المدارس تقبل أولاد الفقراء وتعلمهم بلا مقابل، وهو عمل ظاهره فيه الرحمة، وباطنه فيه الختل والخداع، فأقبل الفقراء على مدارسهم، ورائدهم حسن النية، لا يدرون أن وراء الأكمة ما وراءها))(٣)، وحتى لو أدرك الآباء نوايا القائمين على التعليم التنصيري، فهم مضطرون لذلك بحثًا عن مستقبل أفضل لهم ولأبنائهم، ففي شرق أفريقيا ((كان واضحًا منذ البداية للمواطنين في المناطق الفقيرة بأن الذهاب إلى المدرسة يعني احتمالات اقتصادية أفضل للمستقبل، وكانت سياسة البعثات التنصيرية لاجتذاب الطلاب في هذه

---

(١)التعليم التبشيري في الجزائر: وعلي محمد الطاهر، ص ٨١، ٨٢ باختصار، والتنصير في الفلبين: أبو الخير تراسون، ص ٢٢٨.
(٢)التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ٢٠٩، ٢١٠ باختصار.
(٣)الحيل والأساليب في الدعوة إلى التبشير: مصطفى فوزي غزال، ص ٧٧، ٧٨، باختصار، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، بدون تاريخ.

المناطق: تقديم التعليم باللغة الإنجليزية، وكانت هذه هي رغبة الطالب لكي يستطيع الحصول على بعض الأعمال في الحكومة، وقد بدأ نوع من التفاهم بين الطلبة والبعثة، إذ تستطيع البعثة تقديم التعليم بالإنجليزية في مقابل فرض التعاليم الدينية المسيحية في المدرسة))، وفي أوغندا أعلن المبشر "كانون دالي" أن التعليم مجانًا، على أساس أن يلتحق الطالب إجباريًّا بدروس الإنجيل، وفي زنجبار اكتشف المبشر "بايب" بأن القليل من العرب هم الذين أرسلوا أطفالهم إلى مدارس التنصير، وذلك بسبب عدم مقدرتهم على دفع الرسوم، فطالب وزارة المستعمرات بإلغاء المصاريف؛ لأنها تشكل عبئًا كبيرًا بالنسبة إلى الآباء الفقراء، ولقد اعتمد على ذلك الإجراء كوسيلة لإغراء الأولاد العرب للامتناع عن الذهاب إلى المدارس العربية(١).

ومن نافلة القول: التأكيد على أن إرساليات التنصير كان يعنيها في المقام الأول تنصير أبناء الفقراء وأيتام المسلمين أكثر مما يعنيها تعليمهم، ففي أفريقيا مثلًا ((لم يهتموا بالتعليم إلا بالقدر الذي يمكنهم من استنزافها وتنصير أهلها، وكانوا ينطلقون من موقف عنصري، ويزعمون أن تقديم التعليم للأفارقة أشبه بإلقاء اللؤلؤ أمام خنزير، وبالرغم من هذه النظرة الفوقية العنصرية، فقد كان التعليم على قلته وانخفاض مستوياته أهم وسائل التنصير على الإطلاق))(٢).

ولم يقف علماء الأمة مكتوفي الأيدي أمام هذا الاستغلال الواضح لفقر الناس، ففي مصر انتفض العلماء والمصلحون لمقاومة حركة التنصير، ومن هؤلاء العلماء: عبدالله النديم(٣)، فقد أنشأ أول جمعية إسلامية في الإسكندرية عام ١٨٧٩م، وأطلق عليها "الجمعية الخيرية الإسلامية"، وكان من بين أهدافها: التعاون على فتح مدارس إسلامية للبنين والبنات لجميع أبناء المصريين المسلمين بالمجان للفقراء، وبمصروفات قليلة للقادرين، وكان الهدف هو التصدي للنشاط التنصيري الأجنبي

---

(١)الإسلام والتحدي التنصيري: عمر بابكور، ص ٣١٩ وما بعدها.

(٢) التنصير والاستعمار في أفريقيا السوداء: عبدالعزيز الكحلوت، ص ٩٣، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، الثانية ١٩٩٢م.

(٣) هو عبد الله بن مصباح بن إبراهيم الإدريسي الحسني، الشهير بعبد الله النديم (١٢٦١- ١٣١٤هـ = ١٨٤٥- ١٨٩٦م)، من أدباء مصر وشعرائها، ولد في الإسكندرية، وشغل بعض الوظائف، وهو صاحب مجلة «التنكيت والتبكيت» و «الطائف» و «الأستاذ»، وكلها صحف فكاهية ساخرة كانت لسانه للإصلاح. راجع: الأعلام: خير الدين الزركلي ١٣٨/٤، دار العلم للملايين، بيروت، الخامسة عشر ٢٠٠٢م.

في البلاد، وأعلنت الصحف عن حفل افتتاح أول مدارس الجمعية في ٨ يوليو ١٨٧٩م، وفي الحفل بيَّن النديم رسالة المدرسة الدينية، وهي نشر التعليم الإسلامي بين أبناء الأمة المصرية، واستقبلت المدرسة تلاميذها من أولاد الفقراء والأغنياء على السواء، وبلغ تعداد التلاميذ (٤٨٠) تلميذًا، منهم (٢٠٣) من أبناء الفقراء والأيتام يتعلمون بالمجان..، وذاعت شهرة المدرسة في الأوساط التعليمية، فقد كانت أول مدرسة إسلامية خاصة في مصر بين مئات مدارس الإرساليات التبشيرية الأوروبية(١).

وكان الإمام محمد عبده من أوائل الذين فكروا في خطر المدارس الإرسالية الأجنبية في مصر، فاقترح على مجلس المعارف الأعلى – الذي تألف عام ١٨٨١م – أن يقرر جعل مدارس الإرساليات الأجنبية في مصر تحت مراقبة الحكومة وتفتيشها، وفي عام ١٨٩٣م دعا إلى تأسيس جمعية خيرية إسلامية يكون هدفها إعانة العجزة من المسلمين بالمال، هؤلاء الذين كانوا معرضين لعمل الإرساليات التنصيرية(٢)، وهي خطوة مباركة كانت ولا تزال تحتاج إلى خطوات مماثلة تسهم في مواجهة التعليم التنصيري، وتنهض لمقابلة الشيء بمثله، وتستحث المسلمين لدعم التعليم الوطني والإسلامي، ولو بعُشر مِعشار ما يتبرع به الغرب لدعم مؤسسات التعليم التنصيري.

## المطلب السادس: الاهتمام بالمرأة المسلمة:

أولى المنصرون المرأة عناية فائقة، فهي عصب الأسرة، واستهدافها بالتنصير إنما هو استهداف للأسرة كلها، وذلك لما لها من تأثير على أولادها وعلى زوجها لا يُنكَر، ولا أبالغ إذا قلتُ بأن المرأة عليها مدار الحياة الاجتماعية، وبالتالي فإن تأثيرها لا يقف عند أسرتها، بل يمتد إلى المجتمع كله بوجهٍ عام، وهو ما أوضحه نفرٌ من المنصرين فقالوا: ((إن الأثر الذي تحدثه الأم في أطفالها بالغ في الأهمية، وبما أن النساء هن العنصر المحافظ في الدفاع عن العقيدة، فإننا نعتقد أن الهيئات التبشيرية يجب أن تؤكد جانب العمل بين النساء المسلمات على أنه وسيلة مهمة في التعجيل بتنصير البلاد الإسلامية))(٣)، ولأجل هذا بذل المنصرون أقصى ما في وسعهم للوصول إلى المرأة المسلمة

(١) الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر: د. خالد نعيم، ص ١٦١ باختصار.
(٢) المرجع السابق، ص ١٦٥ باختصار.
(٣)التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ٢٠٣.

وكسبها في صفهم، ورأوا أنه لا سبيل لتحقيق ذلك إلا من خلال "التعليم التنصيري"، وكانت خطواتهم في ذلك على النحو التالي:

١- **الحرص على تعليم المرأة:** فتلميذات اليوم هن زوجات الغد، وبنات اليوم هن أمهات المستقبل، وتأثيرهن على أولادهن أسرع وأقوى من الآباء، حتى قال المبشر "جب": ((إن مدرسة البنات في بيروت هي بؤبؤ عيني، لقد شعرتُ دائمًا أن مستقبل سوريا إنما هو بتعليم بناتها ونسائها))، وتصف المبشرة "آنا ميلغان" سعادتها بهذا الكم من البنات المسلمات في كلية البنات في القاهرة فتقول: ((وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي، وليس ثمت طريق إلى حصن الإسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة))(١)، وفي مؤتمر القاهرة سمع "زويمر" شكوى المؤتمرين من استعصاء المسلم على المبشرين، فذكر أن أقصى ما يجب على المبشر عمله هو تفريغ القلب المسلم من الإيمان بالله، وأن أقصر طريق لذلك هو اجتذاب الفتاة المسلمة إلى مدارسهم بكل الوسائل الممكنة؛ لأنها هي التي تتولى عنهم مهمة تحويل المجتمع الإسلامي وسلخه من مقومات دينه(٢).

والمتأمل في كلام المبشرين واعترافاتهم يظهر له بوضوح حرصهم الشديد على تعليم المرأة، حتى قال أحدهم: ((إن تربية الراهبات لبنات المسلمين توجِد للإسلام في داخل حصنه المنيع عدوًّا لدودًا لا يمكن للرجل قهرها؛ لأنه سهل على المرأة والحالة هذه أن تؤثر على إحساس زوجها وعقيدته فتبعده عن الإسلام، وتربي أولادها على غير دين أبيهم))(٣)، فالمرأة إذا صنعت عقليتها ونفسيتها وفق تعاليم التنصير كانت خطرًا على زوجها وأولادها، بل وعلى المجتمع قاطبة، وبذا يكون خطرها أشد من دور أعداء الأمة في اختراق حصن الإسلام المنيع.

٢- **التوسع في إنشاء مدارس البنات:** فقد اهتم المنصرون بمدارس البنات بصفة خاصة، حتى إنهم افتتحوا أول مدرسة للبنات في الإمبراطورية العثمانية في بيروت سنة ١٨٣٠م، وهو اهتمام مبكر كما يبدو من تاريخ إنشاء المدرسة، وتوالى بعدها إنشاء مدارس البنات في سائر البلاد العربية

---

(١)المرجع السابق، ص ٨٦، ٨٧.
(٢)أجنحة المكر للميداني، ص ٧٣، ٧٤.
(٣)التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة: أ. أنور الجندي، ص ٩٢.

والإسلامية، ففي مصر أنشئت العديد من المدارس، ففي عام ١٨٤٥م أنشأت الإرسالية الفرنسية مدرسة "الراعي الصالح" للبنات، وفي عام ١٨٦١م افتتحت الإرسالية الأمريكية مدرسة للبنات في "حي الأزبكية" بالقاهرة، وقد بلغ عدد المقيدات بالمدرسة (٢٥٠) طالبة، ونظرًا لزيادة عدد الطالبات بمدرسة الأزبكية، ادَّعت الإرسالية الأمريكية أن الحاجة أصبحت ملحَّة إلى إنشاء كلية للبنات، لكن التنفيذ كان يحتاج إلى مبلغ ضخم من المال، الأمر الذي جعل الإرسالية الأمريكية تقوم بحملة دعائية واسعة النطاق، ونجحت بدعايتها في جمع حوالي (٦) آلاف دولار من المسلمين والأقباط المصريين في عام ١٩٠٦م، كما ساهم مستر "جون روكفلر" في عام ١٩٠٧م بمبلغ (٣٠) ألف دولار لإنجاز هذه المؤسسة التنصيرية الخطيرة، واستطاعت الإرسالية الأمريكية افتتاح الكلية في عام ١٩٠٩م، وحضر الرئيس الأمريكي "تيودور روزفلت" حفل الافتتاح، وفي أسيوط تأسست مدرسة السلام للغات التي قال عنها "أندرو واطسون": ((إن هذه المدرسة كان لها أكبر الأثر في تغيير أفكار وعادات نساء أسيوط، إلى الحد الذي يمكن القول معه أنهن يرتقين في الإطار المسيحي بسرعة عن النساء في أي مكانٍ آخر))(١).

وفي عام ١٨٥٩م أسس البروتستانت الأمريكان مدرسة للبنات في جبل لبنان، وأدركوا قيمة هذه المدارس فطلبوا مبلغ (٣٠) ألف دولار لتأسيس مدرسة أخرى في بيروت، وعللوا طلبهم هذا بأن تلك المدرسة ستساعد على تنصير سوريا في المستقبل(٢)، وهذ مجرد أمثلة لآلاف المدارس التي أنشئت لتعليم الفتيات والعمل على تنصيرهن في أرجاء العالم الإسلامي.

٣- **التركيز على المدارس ذات القسم الداخلي:** وقد عللوا ذلك بقولهم: ((إن التبشير يكون أتم حبكًا في مدارس البنات الداخلية؛ لأنها تجعل الصلة الشخصية بالطالبات أوثق، ولأنها تنتزعهن من نفوذ حياة بيتية غير مسيحية، ويفرح المبشرون إذا اجتمع في مدارسهم الداخلية بنات من أسر معروفة؛ لأن نفوذ هؤلاء يكون حينئذ في بيتهم أعظم))(٣)، ويتم افتتاح المدارس الداخلية تحت ستار أنها دور لإيواء الطالبات المغتربات، وهو أمرٌ ظاهره النبل والإنسانية، لكنه يحمل في طياته عزل

---

(١)راجع بالتفصيل: الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية: د. خالد نعيم، الصفحات ٤٢، ٨٣، ٩٥، ١٠٠، ١٠١.
(٢)راجع: التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، الصفحات ٧٧، ٧٨، ٨٠، ٨٧.
(٣)التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ٨٧ باختصار.

هؤلاء الطالبات عن تأثير البيئة المسلمة، بحيث يكون التمكن منهن أشدّ، ووقوعهن تحت تأثير المنصرين أقرب، وهكذا تحظى المدارس الداخلية بعناية خاصة واهتمامٍ أكبر؛ نظرًا للسيطرة الكاملة على الطالبات وفصلهن عن بيئاتهن الإسلامية، الأمر الذي يجعل تأثير القائمين على التنصير يصل إلى مداه في تفاصيل حياتهن اليومية، ومن ثم الاتصال الوثيق بالطالبات، والتحبب إليهن، والتعرف على أحوالهن، والوقوف على مشاكلهن، ومن خلال هذا الجو الودي والاتصال الدائم يستطيعون أن يؤثروا في عقولهن وأفكارهن.

والأمثلة على هذه الأقسام الداخلية كثيرة، ففي عام ١٨٦٤م تم افتتاح قسم داخلي بمدرسة البنات في الأزبكية، وكانت غالبية الملتحقات بهذا القسم من أبناء الأغنياء المسلمين من صعيد مصر، كما أقيم قسم داخلي بمدرسة الأقصر للبنات(١)، وفي أوغندا تم إقامة أقسام داخلية مشابهة في مناطق أخرى.

٤- **الحرص على تنصير الطالبات:** لم يغب عن أذهان المنصرين أن النجاح في تنصير الطالبات معناه أن الأجيال القادمة ستأتي مسيحية بالولادة لا بالتحويل، ولذلك بذلوا أقصى ما في وسعهم لأجل تنصير الطالبات في مدارسهم، ففي مصر كانت تجري محاولات حثيثة لتنصير الطالبات، فإذا ما انكشف الأمر أمام الناس أو المسؤولين الرسميين لجأ المنصرون إلى تهريب ضحاياهم إلى مدن أخرى، كما حدث أن هُرّبت خمس فتيات مسلمات من بور سعيد إلى مدينة المنزلة لإتمام تنصيرهن في مدرسة السلام البروتستانتية بعيدًا عن أعين من يعرفهن ويعرف أسرهن في مدينة بور سعيد(٢)، وفي مدرسة الاتحاد العليا للبنات بمنطقة جبال النوبة كانت المدرسة تقيم لقاءً بين المدرسات الإنجليزيات وطالبات مسلمات لاستمالتهن للنصرانية، وقد تأثرت بعض الطالبات بما سمعن، وتنصرت طالبة منهن بالفعل(٣).

٥- **التشجيع على التعليم المختلط ونشر روح الميوعة والانحلال بين الطالبات:** فالهدف هو تنصيرهن، فإن عجزوا عن ذلك فلا أقل من إفسادهن ونشر روح الميوعة والانحلال بينهن، وكانت

(١)الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية: د. خالد نعيم، الصفحات ٨٣، ٨٤، ١٠٢.

(٢) آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم: د. جابر قميحة، ص ٤٨.

(٣) المشروع التنصيري في السودان: د. حسن مكي أحمد، ص ١٧٥، المركز الإسلامي الأفريقي، الخرطوم، طبعة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

البداية: هي العمل على إخراج الفتاة المسلمة من بيتها، لا سيما وأنها كانت بعيدة عن الاختلاط في مجتمعات الرجال، فكان المدخل: ضرورة تعليم المرأة ومشاركتها في مجالات العلوم والثقافة والفنون الحديثة، وكانت هذه المقدمة مغرية ومقبولة، وبدأ المنصرون بتأسيس مدارس للبنات، ثم انتقلوا إلى تشجيع التعليم المختلط، وظلوا يتدرجون في كسر الحواجز بين الذكور والإناث، حتى شاعت المجتمعات المختلطة بتأثير العدوى والسراية، وهان على المرأة المسلمة أن تعرض مفاتنها للرجال الأجانب، ونظر شبان المسلمين إلى سبيل الفتنة المتدفق في الشوارع والأندية والمحافل العامة، فأقبل نحوه بدافع الغريزة(١)، وهكذا كانت بدايات غزوهم للمجتمعات الإسلامية عن طريق مدارس تعليم الفتيات.

لقد أنشأت المبشرة "روث فينس" مدرسة هي الأولى من نوعها في البحرين سنة ١٩٠٧م، حيث سمحت للأولاد والبنات بالدراسة معًا على مقاعد واحدة، وقد أمروا الفتيات بإسقاط الحجاب ولبس الملابس القصيرة كشرط لحضور المدرسة(٢)، وفي الجزائر تم اختيار عشر فتيات مسلمات جزائريات من قِبَل الحكومة الفرنسية، وأدخلتهن في مدارسها التنصيرية، وبعد أحد عشر عامًا من الجهود هيأت لهن حفلة تخرُّج دُعي إليها الوزراء والمفكرون والصحفيون، ولما بدأت الحفلة فوجئ الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامي الجزائري، وكأنهن يعلنَّ للمنصرين عدم نجاح عملهن التنصيري، فثارت ثائرة الصحف الفرنسية وتساءلت: ماذا فعلت فرنسا في الجزائر إذن بعد مرور (١٢٨) عامًا؟! فأجاب لاكوست "وزير المستعمرات الفرنسي: وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا؟!(٣).

ومما سبق يتبين حرص القائمين على التعليم التنصيري على اجتذاب الفتيات المسلمات إلى مدارسهن، ثم إخراجهن من بيوتهن والعمل على إفسادهن، فما أيسر أن يتسرب الفساد إلى قلوبهن في هذا السن الخطير، وما أسهل أن يُدفَعن إلى الإباحية والفوضى بعد العمل على ما يفسد فطرتهن، وهذا ما يفسر عناية المنصرين بالمرأة وحرصهم على تعليمها.

---

(١)راجع: أجنحة المكر للميداني، ص ٧٢، ٧٣ بتصرف، و ص ٤١٤.

(٢) النشاط التنصيري في منطقة الخليج: إبراهيم المالكي، ص ١٧٤.

(٣) جريدة الأيام، عدد (٧٧٨٠)، الصادر بتاريخ ٦ كانون الأول ١٩٦٢م، نقلًا عن: قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله: جلال العالم، ص ٦٤، مكتبة التابعين، القاهرة، طبعة ١٩٩٢م.

## **المطلب السابع**: **التنصير بين الدارسين في الخارج**:

لقد بدأ الانتباه إلى التنصير بين المسلمين المشتتين خارج بلادهم منذ وقتٍ بعيد، حيث لاحظت إرساليات التنصير كثرة عدد المسلمين المتواجدين في الغرب أو الراغبين في الهجرة إليه، وقررت الإرساليات أن هؤلاء بيئة خصبة للتنصير، فقد جاء في أحد أبحاث المؤتمر: ((يبدو أن عقيدة الغالبية العظمى من المسلمين في الغرب، سواء أكانوا مهاجرين أم طلابًا أم زوارًا، تتعرض للتأثير))(١)، وانطلاقًا من هذا المخطط، ناشدوا كل هيئات التنصير في جميع أنحاء العالم للاتحاد في جهودها لاصطياد الضحايا من المسلمين المغتربين، ولقد خصَّ هذا المخطط –لاصطياد المغتربين المسلمين– طلابنا الذين يدرسون في المجتمعات الغربية بمزيد من الاهتمام، وسرّ هذا التركيز على الطلاب هو:

**أولًا:** هؤلاء الطلاب يجلسون مجلس الدرس والتلمذة، فهم معرَّضون – علاوةً على تأثير الجو النصراني والمادي العام – لتأثير فكري منظم، ومن خلاله يتسرب التنصير بأسلوب ناعم وغير مباشر.

**ثانيًا:** لأنهم لم يرتبطوا – بالزواج والإنجاب – بروابط اجتماعية شديدة الخصوصية تشدُّهم إلى العلاقات الإسلامية، وتُصعب عليهم الاقتلاع الذي يمثله ويحدثه التنصير.

**ثالثًا:** أن إقامتهم في الغرب ليست عابرة، كحال "الزوار"، وإنما لديهم سنوات تتراكم فيها تأثيرات التغريب والتنصير.

**رابعًا:** أن إقامتهم ليست دائمة في الغرب، كما هو حال المهاجرين، ومن ثم فلديهم صلاحية إعادة الغرس في مجتمعاتهم الإسلامية، وبعد زرع النصرانية فيهم وسقيها وتهيئتهم لدور المنصرين.

**خامسًا:** لأنهم كطلاب هم في مرحلة "التلقي" و"التأثر"، وهم ذاهبون إلى الغرب لطلب "العلم" و"الفكر"، وليس لكسب العيش، كما هو حال "المهاجرين" ولا للنزهة والمتعة، كما هو حال "الزوار"(٢).

ولهذه الأسباب وغيرها كان من أهم قراراتهم: وجوب الانتفاع من وجود الطلبة المسلمين في أوروبا والغرب بوجهٍ عام، ووجد القائمون على التعليم التنصيري الفرصة سانحة لاصطياد الطلاب

(١)التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي، ص ٢٨، ٣٢.

(٢)استراتيجية التنصير: د. محمد عمارة، ص ٢١٠، ٢١١.

الدارسين في الغرب، فأعدوا الدراسات وعقدوا المؤتمرات لوضع مخطط للوصول إليهم والعمل على تنصيرهم وكسب ولائهم بعد العودة إلى بلادهم، وقد اشتمل هذا المخطط على عدة خطوات على النحو التالي:

**١- العمل على اجتذاب العديد من أبناء المسلمين للدراسة لديهم في الخارج:** ففي ظل التفوق المادي والتقدم التكنولوجي، وافتتان البعض بالحضارة الغربية، يتهافت بعض الشباب لنيل الشهادات من الغرب، ((ولقد أدرك المبشرون عقدة الشهادات في البلاد الإسلامية، فوجهوا توصيتهم للجامعات عندهم بشراء ما يستطيعون شراءه من أبناء المسلمين نظير منحه اللقب. جاء في كتاب "المشكلة الشرقية" ما يلي: لا شك أن المبشرين فيما يتعلق بتخريب وتشويه عقيدة المسلمين قد فشلوا تمامًا، ولكن هذه الغاية يمكن الوصول إليها من خلال الجامعات الغربية، فيجب أن تختار طلبة من ذوي الطبائع الضعيفة والشخصية الممزقة والسلوك المنحل من الشرق، وتمنحهم المنح الدراسية، حتى تبيع لهم الشهادات بأي سعر، ليكونوا المبشرين المجهولين لنا، إن اعتقادي لقويٌّ بأن الجامعات الغربية يجب أن تستغل استغلالًا تامًّا جنون الشرقيين للحصول على الدرجات العلمية والشهادات، واستعمال أمثال هؤلاء الطلبة كمبشرين ووعاظ ومدرسين لأهدافنا ومآربنا))(١)، ولم يكتف الغرب بمن تبتعثهم بلادهم للدراسة في الخارج، بل ابتكر نظام "المنح الدراسية"، ((وذلك أن بعض المنظمات التنصيرية تختار من النجباء ومن يتبين عليهم قسط عالٍ من الذكاء، وتسهل لهم مواصلة دراساتهم الجامعية والعليا في أوروبا وأمريكا، وترعاهم بالمنح المباشرة، أو الإسهام في بعثهم إلى الجامعات والمعاهد العليا))(٢).

ولذلك عندما زار الرئيس الأمريكي السابق "نيكسون" مهاجري الأفغان، تقرب من رجلٍ عجوز، وأراد أن يسلم عليه، ولكن الشيخ رفض ذلك وقال له: أنت رجلٌ كافرٌ ونجس، ولا أريد أن أسلم عليك، وعند عودته إلى أمريكا، سأله الصحفيون: ماذا أعددتَ لهذه المشكلة؟ فأجاب قائلًا: المشكلة الرئيسية هي الإسلام، ولكي تحل هذه المشكلة يجب علينا أن نأخذ أولاد المسلمين إلى بلادنا، ونغذيهم بثقافتنا

---

(١) الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق: د. عبدالرحمن عميرة ، ص ١١، ١٢ باختصار، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ.

(٢) التنصير: مفهومه وأهدافه: د. علي إبراهيم النملة، ص ٥٩.

وحضارتنا، ومن ثم نرجعهم إلى بلادهم(١)، ولذلك لجأوا إلى نظام المنح الدراسية، واتخذوه وسيلة وستارًا يجتذبون به أبناء المسلمين لغرس تعاليمهم، بدعوى تلقي العلوم وتقديمها مجانًا، ففي الجزائر تشير إحصائيات سنة ١٩٨٩م أن عدد الطلاب الذين يدرسون في الخارج يزيد عن (١٨١٥) طالبًا، موزعين على فرنسا، وبريطانيا، والولايات المتحدة، وكندا(٢).

٢- **استغلال ظروفهم ومحاولة السيطرة عليهم:** بعد نجاح إرساليات التنصير في استقطاب أبناء المسلمين واجتذابهم إلى الدراسة في الغرب، يجد الشاب نفسه في بلد غريب لا يعرف فيه أحدًا، وهنا تجد الإرساليات الفرصة مواتية للهيمنة والتأثير على البعثات الوافدة من البلاد، ولذلك ((تتعرض هذه الفئة من الطلبة إلى حملات قوية من المنصرين عن طريق مكاتب الطلبة الأجانب في الجامعات، حيث تضع هذه المكاتب برامج للطلبة من زيارات للعائلات ونشاطات اجتماعية من حفلات ودعوات إلى الكنيسة، وفي خارج المدن الجامعية يتلقف المنصرون الطلبة المسلمين بعد التعرف على عناوينهم والوصول إليهم وإبداء الرغبة في خدمتهم والوقوف إلى جانبهم والتعاطف معهم، ويُستغل ضعف بعض الطلبة المسلمين ماديًّا لتتبنى الكنيسة أو جمعية مدعومة من الكنيسة دعم هؤلاء الضعفاء من الطلبة، كما يُستغل ضيق بعض الطلبة المسلمين لعدم قدرتهم على العودة المباشرة إلى بلادهم بسبب سوء الأحوال المعيشية ونحوها، والبحث عن إقامة نظامية في البلاد الغربية، التي تتم غالبًا عن طريق الزواج بمواطنة من البلد، إما أن تكون ذات ميول نصرانية، أو ينشأ عندها الميول عندما تدرك أنها اقترنت برجلٍ يختلف عنها دينًا وثقافة، وتكون نتيجة هذا الزواج إنجاب الأطفال، ثم يحصل الفراق عادةً، فتكون رعاية الأطفال – نظامًا – لأمهم، فتأخذهم إلى الكنسية، ويستمر الصراع))(٣).

وفي تقرير ألقي في مؤتمر تنصير أقيم في بريطانيا سنة ١٩٦٩م تحدث السيد "باكنجهام" للمؤتمر عن نشاط "الزمالة المختلطة" مع (١٦,٠٠٠) طالب مسلم، وذكر أن الزمالة يقوم بها مجموعة مؤلفة من (١٣٠) طالبًا بريطانيًّا أخذوا على عاتقهم أن يكونوا أصدقاء لطلاب مسلمين باستقبالهم عند وصولهم إلى بريطانيا، ودعوتهم إلى بيوتهم لتناول الطعام مساء كل يوم جمعة، وأكد السيد

(١) الأديان والحركات التبشيرية في كوسوفا: فهيم جعفر دراغوشا، ص ١٠٣، ١٠٤.

(٢)أساليب ووسائل التنصير في المؤسسات التعليمية الجزائرية: د. جمال حواوسة، ص ٣٥٩.

(٣)التنصير: مفهومه وأهدافه: د. علي إبراهيم النملة، ص ٥٢، ٥٣ باختصار وتصرف يسير.

"باكنجهام" أن من المهم في بداية الأمر أن نكسب ثقة الطلاب المسلمين، وأكد أيضًا أنه يجب على هؤلاء الطلاب أن يعيشوا مع عائلات مسيحية؛ كي يندمجوا معهم ويصبحوا جزءًا من العائلة(١)، وفي هذه الأجواء التي يعيشها الطالب المغترب، أجواء القلق والاضطراب الناجم عن الضعف المادي أحيانًا، وعن عدم الاستقرار النفسي والاجتماعي أحيانًا أخرى، تجد قوى التنصير الفرصة للاقتراب منهم والاستماع إلى مشاكلهم، وكسب ثقتهم، ومن ثم السيطرة عليهم تمهيدًا للخطوة التالية، وهي الأخطر على الإطلاق.

**٣- محاولة صبغ الدارسين بالصبغة الغربية في التفكير والعلم والسلوك:** وكان هذا يتم بمحاولة تنصيرهم في البلاد التي يتم ابتعاثهم إليها، فإذا كان الهدف المعلن هو التعليم والتثقيف، فإن الهدف الحقيقي ((أنهم يريدون أن يجعلوا من هؤلاء الطلاب نصارى بالفعل أو ممالئين للنصرانية))(٢)، وإن لم يتحقق لهم ذلك، فالبديل يتحقق من خلال عدة أمور هي:

أ- إفسادهم عقديًا وسلوكيًا: وذلك بإحاطتهم بالمغريات الجنسية، واستدراجهم حتى يغرقوهم في صنوف المتعة الجسدية التي تستهلك الإنسان وهو ما يزال في ريعان شبابه، فضلًا عن تعاطي الخمور واعتيادها ثم إدمانها، مع الاستغراق بألوان اللهو واللعب وأعمال العبث(٣)، والعمل على زرع أفكار معادية للإسلام في عقولهم بهدف تشكيكهم في دينهم وخلخلة عقيدتهم.

ب- إبهارهم بمظاهر الحضارة الغربية: وذلك بدمجهم في المجتمعات الغربية وإكسابهم أساليب الحياة فيها، وهو ما صرح به المبشر "لويس ماسينيون" فقال: ((إن الطلاب الشرقيين الذين يأتون إلى فرنسا يجب أن يُلَوَّنوا بالمدنية المسيحية))(٤)، بحيث يعودوا إلى بلادهم بغير القلب الذي ذهبوا به، يعودوا وقد أشربت قلوبهم حب الثقافة الغربية والانبهار بها، ((وقد حقق ذلك الابتعاث نتائجه الباهرة المقصودة، فهو أولًا: يزيد طالب التعليم العام جهالة بدينه وقيمه ومُثُله، ويزيده تعلقًا بقيم الغرب أو الشرق ومُثُله، وهو من ناحية أخرى يبدأ بتطبيعه بطباع غير إسلامية، ثم يصير التطبيع مع الزمن

---

(١)الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق: د. عبدالرحمن عميرة، ص ٤٨، باختصار.

(٢)التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ٨٩.

(٣)غزو في الصميم للميداني، ص ٧١، ٧٢ باختصار.

(٤)الغزو الفكري: د. إسماعيل علي محمد، ص ١٥١.

طبعًا، وينسلخ الطالب من تقاليده في الملبس والمأكل والمشرب وطريقة التعامل من حيث لا يشعر))(١).

وما من شك في أن هؤلاء الدارسين في الخارج يكون لهم تأثيرهم على أسرهم وعلى مجتمعاتهم بعد العودة إلى بلادهم، حيث ((يعيش هؤلاء الأبناء ضمن هذه المدارس غرباء في كل شيء، غرباء في الدين، وغرباء في اللغة، وغرباء في التقاليد والعادات، ثم تلجئهم الضرورة إلى التكيف مع الواقع الذي يعيشون فيه، ومحاكاة الأوضاع الاجتماعية التي تفرض عليهم، وبعد فترة من الزمن تصبح هذه الأمور التي اقتبسوها بالمحاكاة والتقليد ومحاولة التكيف مع الواقع جزءًا من حياتهم، وأسلوبًا محببًا، فإذا رجعوا إلى أهليهم نفروا من واقعهم واستنكروه، وشعروا بأنهم غرباء، ووقعوا في صراع عنيف بين الحياة التي نشأوا عليها في مدارسهم، وبين الحياة التي يشعرون بأنها حياة أهلهم وقومهم، ولكن تأثير الحياة التي عاشوها في هذه المدارس المنطلقة من القيود الدينية، والمزينة بمظاهر الأناقة والترتيب والنظام، تظل أقرب إلى أهوائهم ونفوسهم وما يشتهون؛ لذلك فهم يحاولون بكل وسيلة أن يعملوا على تحويل واقع أسرهم وواقع مجتمعهم، حتى يكون صورة للحياة التي عاشوها في هذه المدارس))(٢).

ج- التمكين لهم بعد العودة إلى بلادهم: فإرساليات التنصير تنتقي هؤلاء أثناء دراستهم وتدربهم على أساس أنهم قادة المستقبل وزعماء الغد، ويرجع سر تركيز المنصرين على الطلبة المبعوثين في البلاد الغربية أن هؤلاء سيكون لهم من التأثير في بلادهم أضعاف أضعاف ما للأجنبي من تأثير، فهم أبناء البلد، وهم أكثر قبولًا من غيرهم، ولذلك قال المنصرون: ((يجب أن نتذكر جيدًا أن الطالب الذي يعود ليعمل كمبشر بين شعبه، يكون أفضل بكثير من أي أجنبي آخر))(٣)، وتتلخص خطة إعداد المبتعثين في بلاد الغرب ((أن يضعوهم في المناخ الملائم، وأن يصنعوهم بأيديهم وتحت رقابتهم صناعة دقيقة ضمن منهج مرسوم يعدهم ليكونوا معلمين على وفق أهداف التنصير متى غادروا إلى أوطانهم، وليكونوا موجهي العلم فيها، وواضعي السياسات التعليمية والخطط والمناهج والكتب الدراسية

---

(١)الإسلام في مواجهة الغزو الفكري الاستشراقي والتبشيري: د. محمد بخيت، ص ٢٨٠، ٢٨١.

(٢)أجنحة المكر للميداني، ص ٨٠.

(٣)حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر: م. أحمد عبدالوهاب، ص ١٦٧، مكتبة وهبة، القاهرة، الأولى ١٤٠١هـ/ ١٩١٨م.

لها، وليكونوا المشرفين على المؤسسات التعليمية المختلفة فيها، كل ذلك بعد أن يكونوا قد تشبعوا بالأفكار والمذاهب وأنواع السلوك التي رباهم عليها دعاة التنصير، وبذلك يكونون في أوطانهم رسلًا أمناء لتحقيق أهداف التنصير، دون أن يخسر المنصرون شيئًا))(١).

والذي يشكك في أن هذا هو الهدف الأساسي من هذه البعثات عليه أن يسأل نفسه: ما الفائدة التي تعود عليهم من هذه المنح التي تتكلف الواحدة منها عشرات الآلاف من الدولارات إن لم تكن هي تكوين جبهة داخلية في البلاد الإسلامية تقوم بالدعوة إلى الثقافة الغربية بين المسلمين؟!(٢).

وهكذا ندرك خطورة الابتعاث إلى الخارج، وأنه يمكن أن يكون أداة بناء، كما يمكن أن يكون معول هدم وتخريب، ((فينبغي الاهتمام بأولئك المبتعثين ابتداءً من الانتقاء والتأهيل والتحصين، ومتابعتهم في الخارج، والوقوف على أحوالهم ورعايتهم فكريًّا وثقافيًّا حتى لا يذوبوا في ثقافات غير ثقافتنا، أو تتلوث مفاهيمهم بما لا يتوافق ومعتقداتنا، حتى يعودوا بخير، ويكونوا ساعد بناء لا معاول هدم، ويلتحموا بمجتمعاتهم، مساهمين في مسيرة البناء والعطاء))(٣)، وهو ما أكد عليه المؤتمر العالمي للدعاة المنعقد بالمدينة المنورة سنة ١٩٧٧م، فقد جاء في توصياته: ((منع الابتعاث إلى الدول غير الإسلامية، إلا في حالة الضرورة القصوى التي لا يوجد لها مثيل في جامعات البلاد الإسلامية الأخرى، وفي حالة الابتعاث يختار أفضل المبعوثين خلقًا، ويحاط بتقارير سرية عن إيمانه وخلقه وسلوكه، مع إلزام الطالب بالزواج قبل البعثة))(٤). إنها دعوة إلى حسن استغلال هذه البعثات، وذلك بحسن اختيار المبتعث وتحصينه من الانحرافات الفكرية والعقدية، وحسن اختيار الأماكن التي يبتعث إليها، والمتابعة الجيدة للمبتعثين، وقصر الابتعاث على ميدان العلم التجريبي والتقني الذي لا يقبل خلافًا ولا مناقشة في عقيدة أو فكر.

**وبعد، فماذا نحن فاعلون أمام خطر "التعليم التنصيري" الذي بات واضحًا وأكيدًا؟** ((قد يقول قائل: إن الظروف قد تغيرت الآن لغير صالح هذا التعليم وواجه تضييقًا ولم يعد حرًّا طليقًا من كل

(١)غزو في الصميم للميداني، ص ٦٩، ٧٠ باختصار.
(٢)الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام: د. سعدالدين صالح، ص ٦٩.
(٣)الغزو الفكري: د. إسماعيل علي محمد، ص ١٥٢، ١٥٣.
(٤)الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام: د. سعدالدين صالح، ص ٧٠.

قيد، بل ألغيت المدارس التبشيرية في بعض البلاد الإسلامية، فلم يعد مصدر خطر كما كان من قبل، والحقيقة أن هذا التعليم لا تزال أخطاره قائمة، فهو لا يزال قائمًا في أقطار إسلامية كثيرة، فهذه مدارس تدرس المناهج البريطانية، وأخرى تدرس المناهج الفرنسية، وثالثة تدرس المناهج الأمريكية، كما أن القائمين على أمر هذه المدارس من الخبث بمكان، بحيث يستطيعون أن يتأقلموا، ويتماشوا مع الظروف، فإن لم تسمح الظروف في بلدٍ ما بأن يفصحوا عن أنفسهم سافرين، فليكن العمل التنصيري مستترًا بستارٍ ما، والأنشطة التعليمية لا تصطدم بشكلٍ مباشر بالأنظمة الحكومية المفروضة في التعليم))(١)، فالغاية واحدة وإن اختلفت الأساليب وتطورت من عصرٍ إلى عصر، ومن مكان إلى مكان.

((إن التعليم قوة توجيهية عظيمة، فلا يجوز أن تكون في أيدي أجنبية تلعب بها، وتستغلها لمآرب وأغراض أجنبية. إن التعليم الوطني الموحد – ولو كان ناقصًا بعض النقص – أفضل من التعليم الأجنبي المتنافر – ولو كان كاملًا كل الكمال))(٢)، ولا عجب فالتعليم في أي أمة هو جزء من أمنها القومي، فلا يجوز إهماله أو تركه لمن يعبث به كائنًا من كان.

إن خطر "التعليم التنصيري" يحتم على الجميع أن يقفوا صفًّا واحدًا لمواجهته دون تهويل أو تهوين كما يقول د. محمد عمارة رحمه الله: ((إننا أمام اختيار لواحد من مواقف ثلاثة: **الأول: موقف "التهوين" من هذا الخطر:** اعتمادًا على الحقيقة الثابتة والخالدة المتمثلة في أن الله سبحانه وتعالى قد تعهد بحفظ هذا الدين، لكن التهوين من هذا الخطر، اعتمادًا على هذه الحقيقة الثابتة والخالدة يُنسي أصحابَه ويتناسون الفارق بين "حفظ الله لدينه"، وهو ما تعهد به سبحانه، وبين "إقامة هذا الدين" ليتحول من "وحي محفوظ" إلى واقع متجسد في الحياة، وتلك هي مسؤولية المسلمين.. هذا عن موقف "التهوين" من خطر التعليم التنصيري. **والموقف الثاني: هو موقف "التهويل" من خطر هذا المخطط،** إلى الحد الذي يزعجنا عن التفكر والتدبر، ويسلمنا إلى اليأس والقنوط. **أما الموقف الثالث الذي نختاره ونحبذه وندعو إليه:** فهو الذي لا يستهين بمخاطر هذا المخطط التنصيري، ولكن دونما

(١)الغزو الفكري التحدي والمواجهة: د. إسماعيل علي محمد، ص ١٤١، ١٤٢ باختصار.

(٢)التبشير والاستعمار: خالدي وفروخ، ص ١١٢.

"تهوين" يوقعنا في الغفلة عن الخطر، وأيضًا دونما "تهويل" يوقعنا في اليأس والقنوط، فكلا "التهوين" و"التهويل" سيقودان خطانا إلى الوقوع فريسة لهذا المخطط الذي رسمته مؤسسات التنصير»(١)، فالواجب أن يتحمل الجميع مسؤولياته، وأن تتضافر الجهود لمواجهة هذا الخطر، وهو ما سيأتي تفصيله في توصيات الدراسة إن شاء الله.

---

(١)استراتيجية التنصير: د. محمد عمارة، ص ٢٢٤ وما بعدها باختصار وتصرف.

# الخـــاتـــمـــة

ويطيب لي في نهاية البحث أن أعرض أبرز نتائجه وأهم توصياته على النحو التالي:

**أولا: أبرز النتائج:**

- "التعليم التنصيري" المقصود في هذه الدراسة: هو التعليم المنهجي الذي يتم من خلال مؤسسات التعليم المختلفة، كدور الحضانة، والمدارس بكافة أنواعها، والمعاهد العليا، والجامعات، ويشمل أيضا: فصول محو الأمية وتعليم الكبار، بخلاف "التثقيف العام" الذي يتم من خلال الندوات والمحاضرات العامة، والإذاعات والصحف ونحو ذلك، فهو لا يدخل ضمن هذه الدراسة.
- يمثل التعليم دعامة أساسية من دعائم العمل التنصيري، فقد أدرك المنصرون منزلة التعليم ومدى تأثيره على المجتمع الذي يستهدفونه ويعملون على تنصير أبنائه، ولذلك وضعوا كل ثقلهم وسخروا كافة إمكاناتهم لاستغلال التعليم وتوجيهه بما يخدم أغراضهم التنصيرية.
- يتميز التعليم التنصيري عن غيره من وسائل التنصير بأنه وسيلة آمنة وتتم في هدوء، حيث يلقَّن أبناء وبنات المسلمين مبادئ النصرانية دون جلبةٍ أو ضجيج، وهو فرصة للتقارب مع المسلمين والتودُّد إليهم دون إثارتهم، كما أنه يعد فرصة للتنصير الجماعي والشامل.
- يهدف التعليم التنصيري إجمالًا إلى: إخراج أجيال بلا عقيدة، يسهل توجيهها إلى أي اتجاهٍ كان، وتفصيلًا إلى: الغزو الفكري لعقول الناشئة من أبناء الأمة، وإخراج المسلمين من دينهم وتنصيرهم، وإعداد قادة وكوادر وتمكينهم من مواقع المسؤولية والتأثير في أوطانهم.
- تميزت أساليب التعليم التنصيري بالمرونة والتكيف مع كافة الظروف والأحوال، فهم يحرصون على تدريس مناهجهم، فإن فرض عليهم التقيد بالمناهج الرسمية طوعوها لصالح مبادئهم التنصيرية، ويتمسكون بالمعلم المسيحي، فإن أعياهم ذلك اختاروا الشخصيات التي لا تكون عائقا في مخططهم التنصيري، ويطمحون إلى تنصير رواد مؤسساتهم التعليمية، فإن عجزوا فلا أقل من تنشئتهم على الميوعة والانحلال الذي يقود في النهاية إلى الإلحاد.
- استغلال حالات الضعف الإنساني، وقد بدا ذلك واضحًا في استغلال ضعف الطفولة وبراءة الناشئة لتلقينهم الأفكار التنصيرية، وفي استغلال الضعف الناشئ عن الفقر والحاجة، بل وفي استغلال ضعف ذوي الاحتياجات الخاصة، وذلك بإنشاء مدارس لتعليم المكفوفين والصم والبكم والعجزة، وهذه الأمور ونحوها مظاهر للانتهازية واللاأخلاقية في التنصير.

ئ- مما زاد من الإقبال على "التعليم الأجنبي" هو ضعف التعليم الحكومي؛ الأمر الذي ألجأ الأثرياء بل ومتوسطي الحال إلى الدفع بأبنائهم إلى هذه المدارس، مهما كان هذا الأمر مكلفًا ومرهقًا لهم من الناحية المادية، حتى صار "التعليم الخاص" بشكل عام و"التعليم الأجنبي" بشكل خاص ضرورة وليس من الترفيات والكماليات كما كان أول الأمر، وهو ما يفسر شدة الأقبال على "التعليم الأجنبي" الذي يحرص على تقديم مستوى تعليمي متميز.

## ثانياً: أهم التوصيات:

١- الاهتمام بالتعليم الحكومي والعمل على رفع مستواه بشتى الطرق، وأن يكون ذلك من أولى أولويات الحكومات العربية والإسلامية للنهوض، فالتعليم قوة توجيهية عظمى وأمن قومي، فلا ينبغي أن يُترَك لأيدي أجنبية أو تنصيرية تستغله لمآرب وأغراض خبيثة.

٢- تفعيل دور الأزهر الشريف وإعداد أبنائه، فهم الأقدر بما لديهم من العلم الشرعي على مواجهة "التعليم التنصيري" وكشف زيفه، وهم الأجدر على ملء هذا الفراغ وإنقاذ العالم الإسلامي من ضلال التنصير، وذلك بما أوتوا من مكانة ومهابة في قلوب المسلمين في شتى بقاع الأرض.

٣- تبين من خلال البحث في هذا الموضوع أن هناك جوانب تتعلق بموضوع التعليم التنصيري ما زالت بحاجة إلى البحث والدراسة بمزيد من التفصيل، وأوصي الباحثين والمتخصصين بتناول هذه الموضوعات ونحوها في مشروعات بحثية مستقبلية، ومنها: دور طلاب النصارى في مؤسسات التعليم التنصيري وغير التنصيري، وأساليب التنصير في مؤسسات التعليم الحكومي في البلاد العربية والإسلامية، ودور الاستعمار في دعم التعليم التنصيري.

٤- عدم إدخال أبناء وبنات المسلمين إلى المدارس الأجنبية في الداخل والخارج إلا بعد أن يتحصنوا فكريًّا وعقديًّا، ويتمكنوا من دينهم ولغتهم ووطنيتهم، ويتم الاطمئنان التام إلى أنهم لن يتأثروا سلبًا بثقافة الغرب وأفكاره العقدية، مع تعهدهم بالرعاية الكاملة والمتابعة الدائمة، إن كان ثمت ضرورة لإلحاقهم بالمدارس الأجنبية.

٥- ضرورة السعي والبذل وتضافر الجهود لإقامة مدارس لاستيعاب أطفال المسلمين في أفريقيا ونحوها من المناطق ذات الاحتياج، الذين اضطرهم الفقر والعوذ للتهافت على المدارس التنصيرية، في حين لا توجد من المدارس الإسلامية الكفيلة بتقديم تلك الخدمة مدرسة واحدة، مما دفع بأبناء المسلمين إلى الدخول في المدارس المسيحية.

٦- إخضاع مؤسسات التعليم الأجنبي في البلاد العربية والإسلامية للإشراف الكامل والرقابة الواعية من قبل الحكومات والوزارات المعنية، ليس فقط على المناهج، وإنما الإشراف الكامل على العملية التدريسية، والبيئة التعليمية، وكافة الأنشطة "الصفية واللاصفية".

٧- ضرورة تدريس مجموعة "مقررات الثقافة الإسلامية" كمتطلب جامعي في التعليم بنوعيه "الحكومي والخاص" في كافة البلاد العربية والإسلامية، وذلك لتحصين الشباب عقديًّا وفكريًّا ضد موجات التنصير والإلحاد ونحوها.

# المصادر والمراجع


## أولا: القرآن الكريم والسنة النبوية:

١- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، بيروت، الثالثة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. تحقيق د. مصطفى ديب البغا.

## ثانياً: اللغة والمعاجم:

٢- الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الخامسة عشر ٢٠٠٢م.

٣- لسان العرب لابن منظور، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ. تحقيق: عبد الله على الكبير.

٤- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بمصر، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الرابعة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

## ثالثاً: التبشير والاستشراق:

٥- آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم: د. جابر قميحة، سلسلة دعوة الحق، تصدرها رابطة العالم الإسلامية، مكة المكرمة، السنة العاشرة، العدد ١١٦، العام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

٦- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها "التبشير – الاستشراق – الاستعمار": د. عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الثامنة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٧- أحقاد وأطماع التبشير في أفريقيا المسلمة: د. عماد الدين خليل، المختار الإسلامي، القاهرة، الثانية ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٨- الأديان والحركات التبشيرية في كوسوفا: فهيم جعفر دراغوشا، بحث ماجستير (غير منشور)، جامعة بروناي، دار السلام، ٢٠٠٨م.

٩- الإسلام في مواجهة الغزو الفكري الاستشراقي والتبشيري: د. محمد حسن مهدي بخيت، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الأولى ٢٠١٢م.

١٠- أساليب المنصرين في الصدّ عن الإسلام في أفريقيا: نور الدين بابكر، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، سنة ١٤٢٣هـ.

١١- أساليب ووسائل التنصير في المؤسسات التعليمية الجزائرية: د. جمال حواوسة، بحث (منشور) بمجلة العلوم الاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، العدد(٤١)، ٢٠١٨م.

١٢- أصول التنصير في الخليج العربي: هـ. كوتوي زيقلر، الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م. ترجمة: مازن مطبقاني.

١٣- الحملات التنصيرية إلى عمان: د. سليمان بن سالم الحسيني، دار الحكمة، لندن، بدون.

١٤- أخطار التبشير في ديار المسلمين: محمد عبدالرحمن عوض، دار الأنصار، القاهرة، بدون.

١٥- الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب: د. كرم شلبي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

١٦- الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق: د. عبدالرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، بدون.

١٧- الزحف إلى مكة "حقائق ووثائق عن مؤامرة التنصير في العالم الإسلامي": د. عبدالودود شلبي، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٨- استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي: د. محمد عمارة، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، الأولى ١٩٩٢م.

١٩- الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا: د. عمر سالم بابكور، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة أم القرى ١٤١٧هـ.

٢٠- أضواء على التبشير والمبشرين: د. سلمان عبد المالك، مطبعة الأمانة، القاهرة، الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٢١- التبشير المسيحي في العاصمة المثلثة: حسن مكي أحمد، الدار الوطنية، الخرطوم، السودان، ١٩٨٣م.

٢٢- التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل: د. إبراهيم عكاشة علي، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض ١٩٨٢م.

٢٣- التبشير في العالم الإسلامي "أهدافه وآثاره": محمد زين العابدين الطشو، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة الأزهر ١٤٠٧/ ١٩٨٧م.

٢٤- التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة: أ. أنور الجندي، دار الأنصار، القاهرة، بدون تاريخ.

٢٥- التبشير والاستعمار في البلاد العربية: د. مصطفى خالدي، ود. عمر فروخ، المكتبة العصرية، بيروت، الخامسة ١٩٧٣م.

٢٦- التبشير والاستعمار في نيجيريا: خضر مصطفى النيجيري، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٢٧- التعليم التبشيري في الجزائر: وعلي محمد الطاهر، رسالة ماجستير(غير منشورة)، جامعة الجزائر،١٩٨٩م.

٢٨- التنصير الأمريكي في بلاد الشام: د. عبدالرازق عيسى، مكتبة مدبولي، القاهرة، الأولى ٢٠٠٥م.

٢٩- تنصير المسلمين "بحث في أخطر استراتيجية طرحها مؤتمر كولورادو التنصيري": عبدالرزاق ديار بكر لي، الأولى١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٣٠- التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي (ترجمة كاملة لأعمال مؤتمر "كولورادو" التنصيري الذي عقد في أمريكا سنة ١٩٧٨م)، دار MARC للنشر، كاليفورنيا، أمريكا، سنة ١٩٧٩م.

٣١- التنصير في الخليج العربي: د. عبدالعزيز بن إبراهيم العسكر، الدار العربية للموسوعات، بيروت، الثالثة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.

٣٢- التنصير في الفلبين "نشأته وخطره وكيفية مواجهته": أبو الخير تراسون، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣٣- التنصير في فلسطين في العصر الحديث: أمل عاطف محمد الخضري، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجامعة الإسلامية، غزة، سنة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٣٤- التنصير في منطقة جبال النوبة "حقيقته وتأثيره ومواجهته": نور الدين عوض الكريم بابكر، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، السعودية، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٣٥- التنصير "مفهومه. جذوره. أهدافه. أنواعه. وسائله،..": أكرم كساب، مركز التنوير الإسلامي، بدون.

٣٦- التنصير: مفهومه، وأهدافه، ووسائله، وسبل مواجهته: د. علي إبراهيم النملة، دار الصحوة، القاهرة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٣٧- التنصير والاستعمار في أفريقيا السوداء: عبدالعزيز الكحلوت، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، الثانية ١٩٩٢م.

٣٨- الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر: د. خالد نعيم، كتاب المختار، القاهرة، بدون.

٣٩- حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر: أحمد عبدالوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة، الأولى١٤٠١هـ/ ١٩١٨م.

٤٠- الحيل والأساليب في الدعوة إلى التبشير: مصطفى فوزي غزال، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، بدون تاريخ.

٤١- الخطر التبشيري الصليبي في الكويت: أحمد بن عبدالعزيز الحصين، الثامنة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٤٢- علم التبشير: مناهجه وتطبيقاته: د. إبراهيم عكاشة علي، دراسة منشورة في مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، العدد الخامس، سنة ١٤١١هـ.

٤٣- الغارة على العالم الإسلامي: تأليف أ. لُ شاتليه، لخصها ونقلها إلى العربية: محب الدين الخطيب، ومساعد اليافي، الدار السعودية للنشر، جدة، السعودية، الثانية ١٣٨٧هـ.

٤٤- الكاروز: التنصير في بلاد المسلمين: عبدالجليل ريفا، دار جامعة أفريقيا العالمية، بدون.

٤٥- مؤتمر كولورادو التنصيري "دراسة تحليلية": جمعان بن علي الزهراني، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، سنة ١٤٢٠هـ.

٤٦- المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي: أ. إبراهيم خليل، مكتبة الوعي العربي، القاهرة، بدون.

٤٧- المشروع التنصيري في السودان: د. حسن مكي أحمد، المركز الإسلامي الأفريقي، الخرطوم، طبعة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٤٨- معركة التبشير والإسلام "حركات التبشير والإسلام في آسيا وأفريقيا وأوروبا": د. عبدالجليل شلبي، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة، الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٤٩- النشاط التنصيري في منطقة الخليج "أهدافه وأبعاده وسبل مقاومته": إبراهيم بن مسعود المالكي، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، سنة ١٤٢٩هـ.

## رابعاً: بقية المراجع:

٥٠- أبجديات البحث في العلوم الشرعية: د. فريد الأنصاري، منشورات الفرقان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م

٥١- أباطيل وأسمار: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٨٥هـ.

٥٢- الاتجاهات الفكرية المعاصرة: د. علي جريشة، دار الوفاء، المنصورة، مصر، الثالثة ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٥٣- احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام: د. سعدالدين صالح، مكتبة الصحابة بالشارقة، ومكتبة التابعين بالقاهرة، الأولى ١٤١٩/ ١٩٩٨م.

٥٤- الإسلام في وجه التغريب: أ. أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة، بدون تاريخ.

٥٥- التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام: الشيخ محمد الغزالي، دار الكتب الحديثة، القاهرة، الثالثة، بدون.

٥٦- جذور البلاء: عبدالله التل، دار الإرشاد، بيروت، الأولى ١٣٩٠هـ/١٩٧١م.

٥٧- الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون: أ. أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة، بدون.

٥٨- الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية: أبو الحسن على الحسني الندوي، دار القلم، الكويت، الرابعة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٥٩- العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي: أ. أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، الثانية ١٩٨٣م.

٦٠- الغزو الفكري "التحدي والمواجهة": د. إسماعيل علي محمد، دار الكلمة، المنصورة، مصر، الثانية ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٦١- غزو في الصميم: د. عبدالرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق – بيروت، الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٦٢- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: د. محمد البهي، مكتبة وهبة، القاهرة، الرابعة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٦٣- قضايا تربوية من الميدان: هيثم بن إبراهيم الرغبان، مكتبة الملك فهد الوطنية، سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٦٤- قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام: جلال العالم، مكتبة التابعين، القاهرة، ١٩٩٢م.

٦٥- المدارس العالمية "الأجنبية – الاستعمارية" تاريخها ومخاطرها: د. بكر بن عبدالله أبو زيد، دار ألفا، القاهرة، الأولى ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٦٦- المسؤولية الإعلامية في الإسلام: د. محمد سيد محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م،

٦٧- المسيحية والألف الثالثة: الأنبا يوحنا قلتة، دار مصر المحروسة، القاهرة، الأولى ٢٠٠٢م.

٦٨- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، دار الندوة العالمية، الرياض، الخامسة١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. إشراف: د. مانع الجهني.

**خامساً: مقالات ومنشورات على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت):**

٦٩- أطفالنا المهاجرون وأكذوبة التعليم الديني: أسعد طه، مجلة منار الإسلام، الشؤون الإسلامية والأوقاف، الإمارات العربية المتحدة، عدد (٨)، السنة الرابعة عشرة، مارس ١٩٨٩م.

٧٠- مفهوم التدريس: د. حمزة هاشم السلطاني، محاضرة منشورة على الموقع الرسمي لجامعة بابل، كلية التربية للعلوم الإنسانية، تاريخ النشر ١٧/٤/٢٠١١م.

٧١- نظرة إلى أفضل خمسة أنظمة تعليم في العالم: الباحث/ أحمد الجعفري، موقع مركز البيان للدراسات والتخطيط، تاريخ النشر: ٨/١٠/٢٠١٧م.

# فهرس الموضوعات

## المحتويات

الملخص: ........ ١١٢
مقدمـــة ........ ١١٦
المبحث الأول ........ ١١٨
مدخل إلى التعليم التنصيري ........ ١١٨
المطلب الأول: مدلول التعليم التنصيري: ........ ١١٨
المطلب الثاني: التعليم وسيلة للتنصير: ........ ١٢١
المطلب الثالث: خصائص التعليم التنصيري: ........ ١٢٤
المطلب الرابع: تاريخ التعليم التنصيري ومؤسساته: ........ ١٣٠
المبحث الثاني ........ ١٤٢
أهداف التعليم التنصيري ........ ١٤٢
المطلب الأول: الغزو الفكري لعقول الناشئة من أبناء الأمة: ........ ١٤٢
المطلب الثاني: إخراج المسلمين من دينهم وتنصيرهم: ........ ١٤٧
المطلب الثالث: ........ ١٤٩
إعداد قادة وكوادر وتمكينهم من مواقع المسؤولية والتأثير في أوطانهم: ........ ١٤٩
المبحث الثالث ........ ١٥٥
أساليب التعليم التنصيري ........ ١٥٥
المطلب الأول: إعداد المناهج بعناية بحيث تتضمن التعاليم المسيحية: ........ ١٥٥
المطلب الثاني: الاستعانة بمعلمين أكفاء علميًّا وروحيًّا: ........ ١٦٠
المطلب الثالث: تهيئة البيئة التعليمية التي تساعد على التنصير: ........ ١٦٣
المطلب الرابع: تقديم الخدمات التعليمية المتميزة: ........ ١٦٨
المطلب الخامس: استغلال حالات الضعف الإنساني: ........ ١٧٢
المطلب السادس: الاهتمام بالمرأة المسلمة: ........ ١٧٨
المطلب السابع: التنصير بين الدارسين في الخارج: ........ ١٨٣
الخـاتـمـة ........ ١٩١
أولا: أبرز النتائج: ........ ١٩١
ثانيًا: أهم التوصيات: ........ ١٩٢
المصادر والمراجع ........ ١٩٤
أولا: القرآن الكريم والسنة النبوية: ........ ١٩٤
ثانيًا: اللغة والمعاجم: ........ ١٩٤
ثالثًا: التبشير والاستشراق: ........ ١٩٤
رابعًا: بقية المراجع: ........ ١٩٧

خامسًا: مقالات ومنشورات على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت): ...................... ١٩٩
فهرس الموضوعات ........................................................................................................ ٢٠٠

والحمد لله رب العالمين